

تجليات التناسل في شروح نهج البلاغة

اسم الباحث : م.م ستار قاسم عبد الله

اللقب العلمي : مدرس

جامعة ذي قار – كلية الآداب

اسم الباحث : د.كاظم فاخر حاجم

اللقب العلمي : استاذ مساعد

جامعة ذي قار – كلية الآداب

مدخل :

ان مصطلح التناص استخدم كثيراً وحمل معاني مختلفة بحيث بات مفهوماً غامضاً في الخطاب الأدبي وقد كان الاعتقاد السائد قبل البنيوية ان النص يقوم على الانغلاق بحيث تكون له بداية ونهاية ومنغلق على ذاته كما تميز النص بالاحادية اي ان النص له دلالة محددة والقارئ المثالي هو من يمسك بها ووفقاً لذلك فان الكاتب هو صاحب النص وله السلطة العليا عليه ، ودور القارئ هنا هو الاهتداء الى تلك الدلالة التي تكمن في وعي او لا وعي الكاتب لذلك اختلفت النظرة الى النص باختلاف المناهج النقدية التي قاربت معناه وصاغت مفهومه.

وقد وضح مفهوم التناص العالم الروسي ميخائيل باختين من خلال كتابه (فلسفة اللغة) (وعني باختين بالتناص الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها او محاكاتها لنصوص او لاجزاء نصوص سابقة عليها والذي افاد منه بعد ذلك العديد من الباحثين)^(١) فكان بذلك اول من صاغ نظرية باتم معنى للكلمة فالكاتب من وجهة نظر باختين (يتطور في عالم مليء بكلمات الاخرين فيبحث في خضمها عن طريقه لا يكتفي فكره الا بالكلمات التي تسكنها اصوات اخرى ، ولهذا فكل خطاب يتكون اساساً من خطابات اخرى سابقة ويتقاطع معها بصورة ظاهرة او خفية فلا وجود لخطاب خالٍ من آخر ويؤكد باختين هذه الحقيقة وي طرح نظرية الحوارية)^(٢) ولهذه النظرية الحوارية والصوت المتعدد تُعد مقدمة اساسية وجذرية لمفهوم التناص الذي تبلور على يد الباحثة جوليا كرسيفا في ابحاث لها عدة كتبتها في عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٧ وصدرت في مجلتي تيل كيل كرتيل واعدت نشرها في كتابها سيموتيك ونص الرواية فقد عرفت الناقدة جوليا كرسيفا النص بانه (جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعاً الحديث التواصلي وتقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة او متزامنة)^(٣) ويتضمن هذا التعريف عدداً من المفاهيم النظرية التي صاغت كرسيفا ياتي في مقدمتها (اعتبار النص ممارسة دلالية اي نظام دلالي مميز خاضع لتصنيفه الدلالات حيث تتوالد الدلالة في

(١) محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث بنياته وابدالاتها ، ج٣ ، الشعر المعاصر ، دار توفيق ، المغرب ، الطبعة الاولى ، ص١٨٣-١٨٤.

(٢) ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، ترجمة محمد سرادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، باريس ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص٥٣ - ٥٤.

(٣) افاق التناصية المفهوم والمنظور مجموعة من المؤلفين ، ترجمة محمد خير البقاعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص٣٧.

عملية تستمر مع الوقت نفسه وبحركة واحدة جدل الفاعل (الكاتب) وجدل الاخر (القارئ) والسياق الاجتماعي ... كما اعتبرت ان النص هو انتاجية وهو الساحة التي يلتقي فيها النص مع قارئه حيث يظل النص يعتمل باستمرار ... ثم هناك المعنى الذي على اساسه يجب تصور النص كنتاج وليس كمنتج تكون الدلالة غير موافية في تقديم المعنى ، فالنص هو فضاء متعدد المعاني يتلاقى فيه عدد من المعاني الممكنة ^(١). لقد ظهر مصطلح التناص كجزء من الاسس النظرية لنظرية النص عند جوليا كرسيفا واصبح المنطلق الاساسي لاية دراسة سيميائية للشعر فهو ينتمي اما مرحلة ما بعد البنيوية ويعتبر مفهوماً تفكيكياً كما ان رولان بارت تحمس لنظرية التناص واعتبر ان التناص هو قدر كل نص مهما كان نوعه ، لكن بدايات ظهور هذا المصطلح في اشكاله الاولى سبق من الناحية التاريخية كرسيفا ، اذ برزت مقولات عديدة اكدت على انفتاح الدال على آخره منذ سوسير ونظريته اللغوية ، وكان الفيلسوف الالمانى نيتشه قد سبقه ان الظهور الاول لمفهوم التناص ارتبط بالشكلاني الروسي شكولوفسكي الذي كان اول من اشار اليه في معرض حديثه عن اتصال العمل الفني بغيره من الاعمال الفنية ، ثم تحققت النقطة الهامة لهذا المفهوم على يد ميخائيل باختين الذي استخدم مصطلح الحوارية وتعدد الاصوات في كتابه (شعرية دستوفسكي) وقد استمد هذا المصطلح (قيمته النظرية النقدية وفعاليتها الاجرائية من كونه يقع في مجال الشعرية الحديثة في نقطة تقاطع التحليل البنيوي للنصوص والاعمال الادبية باعتبارها نظاماً مغلقاً لا يحيل الا على نفسه مع نظام الاحالة والمرجع باعتبار ما هو خارج النص ولهذا فقد اصبح هذا المفهوم مرتكزاً من مرتكزات المقاربة الشعرية للنصوص الادبية ^(٢) وقد تحمس رولان بارت لمفهوم التناص وبرأيه ان البحث عن ينابيع عمل ما ليس الا استجابة لاسطورة النسب (فكل نص يرجعنا بطريقة مختلفة الى بحر لا نهائي هو المكتوب من قبل) ^(٣) ان ما ميز مفهوم التناص عند بارت هو تركيزه على دور القارئ عند عملية التناص من خلال ما يقوم به من استحضار لمخزونه الثقافي عند قراءة النص ما ادخل القارئ كفاعل في هذه العملية لان (الانا التي تقترب من النص هي في الواقع مجموعة متعددة من النصوص الاخرى ذات

(١) افاق التناصية المفهوم والمنظور : ص ٤١.

(٢) التفاعل النصي ، التناصية النظرية والمنهج ، نهلة الاحمد كتاب ، الرياض ، العدد ١٠٤ ، يونيو / ٢٠٠٠ ، ص ٨٧.

(٣) النظرية الادبية المعاصرة ، رمان سلدن ، ترجمة : د. جابر عصفور ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ،

تغرات لا نهائية او بالاحرى مفقودة الاصول قد ضاعت مصادرها^(١) وبالتالي فان مفهوم التناص عند بارت يقضي على مفهوم الابوة للنصوص الادبية لان (الانا التي كتبت النص ليست (أنا) حقيقية وانما (أنا) ورقية)^(٢) اما جيرار جنيت فقد عمل على توسيع مصطلح التناص عندما اعتبر النص نصاً جامعاً يسمح بالكتابة على الكتابة وهو يشمل النص والمقدمات والاستشهادات الا انه استخدم مصطلحاً بديلاً هو التعالي النصي او النصية المتعالية وعرفه بصورة اجمالية بانه (كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة او ضمنية مع نصوص اخرى فهو يتجاوزها اذن ويشمل جميع النصوص وبعض الانواع ذات العلاقة الخاصة بالنصية المتعالية)^(٣). اما يوري لوتمان فقد حدد مفهوم التناص من خلال استكناه العلاقات القائمة بين النص والبنى غير النصية (باعتبارها المدخل الصحيح لتناول موضوع التناص من ناحية ، ولطرح مفهوم جدلي وحركي للنص ، يجعل من العسير تصور وجوده وفاعليته خارج اطار هذا المفهوم الشامل للتناص)^(٤). وبذلك فالتناص عنده هو الذي يهب النص قيمته ومعناه لانه يضع النص داخل سياق يساعدنا على فتح مغاليق نظام النص الاشاري ويمنح ذلك النظام الاشاري وعلاقاته المكونة له معناها الى جانب دوره في تمكين القاري من طرح مجموعة متعددة من التوقعات والتاثير في افق التوقع عنده.

ويعد مارك انجينوا الذي عمل على اعطاء نظرية التناص مديات واسعة ساهمت في انفتاحها على موضوعات واشكال كثيرة من المتحمسين لهذه النظرية اذا اعتبر (كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص اخرى وبذا يصبح نصاً في نص نصاً وبذا تنتمي الكلمة الى الجميع لكونها تؤشر على فكرة مبذولة في كل دراسة ثقافية)^(٥) أما (روبرت شولتر) فانه وازن بين التناص وعلم الاشارات وبرأيه ان قضية التناص قضية حتمية ، وعنده ان التناص وتداخل النصوص مصطلح ذو دلالة واحدة فالمبدأ العام فيه هو (ان النصوص تشير الى نصوص اخرى ، مثلما

(١) افق الخطاب النقدي ، دراسات نظرية وقرارات تطبيقية ، د. صبري حافظ ، دار شرقيات ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه : ٥٢

(٣) افق التناصية المفهوم والمنظور ، ص ١٧٩.

(٤) افق الخطاب النقدي : ٥٦

(٥) في اصول الخطاب النقدي ، تود دروف بارت ايكو ، ترجمة : احمد المديني ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٢

الإشارات تشير إلى إشارات آخر وليس إلى الأشياء المعنية مباشرة ، فالنص المتداخل نص تسرب إلى داخل نص آخر ليجسد المدلولات سواء وعى الكاتب بذلك أم لم يع (١).

التناص في النقد العربي القديم

من المعروف أن عملية الإبداع في أي مجال لا بد أن تعتمد على عمل سابق عليه ، والشعر عند النقاد القدامى يعد صناعة لذلك وضعوا شروطاً معينة وقواعد وعلى الذي يروم أن يصل إلى مرتبة الشاعر عليه أن يلتزم بهذه الشروط والضوابط ، ومن هذه الضوابط حفظ أشعار الآخرين واستيعابها واختزانها في الذاكرة ثم نسيانها وفي عرف هؤلاء النقاد أن الشاعر الذي لا يعتمد على نتاجات الآخرين لا يعد شاعراً ، وذلك ما أشار إليه ابن خلدون بقوله (واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ، ثم الامتلاء من الحفظ وشحن القريحة للنسيج على المنوال يقبل على النظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ ، وربما يقال أن من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحي رسومه الحرفية الظاهرة ، إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها فإذا نسيها ، وقد تكيفت النفس بها ، انتعش الأسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات) (٢) وبالرجوع إلى الشعر الجاهلي نجد هذا الأمر مجسداً بشكل عملي واقرب مصداق على ذلك ما نجده عند امرئ القيس الذي يقول (٣) :

يقول عوجاً على الطلل لعننا نبكي الديار كما بكى ابن خدام

فهو يؤكد أن قضية وقوفه على الاطلال هو فيها تابع لمن سبقه وقد التفت النقاد القدماء إلى باب واسع قد شغل حيزاً من الفكر النقدي وهو باب (السرقات الشعرية) وحاولوا التقليل من وطأة هذه التسمية فاطلقوا لفظ السرقة الممدوحة هذا وقد أصبحت الاحاطة بمعرفة اصناف السرقات واقسامها ورتبها شرطاً يجب أن يتحلى به الاديب.

ومن تصفح كتب القدماء النقدية والادبية تنبئ عن مصطلحات فيها السرقة ظاهرة مثل (الاخذ ، الاجتلاب ، الانتحال ، والاصطراف) كما ان هناك مصطلحات تنفي عنها هذه السرقة ومن هذه

(١) في اصول الخطاب النقدي الجديد : ١٠٨

(٢) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (المقدمة) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ن) ، ص ٥٧٤

(٣) امرؤ القيس (الديوان) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرى ، ١٩٥٨ ، ص ١١٤

المصطلحات (التوليد ، الابتداع ، الاستعارة ، الاخفاء ، تغيير الغرض التكتيف)^(١) فمن هذا يتبين ان (التناص موجود في تراثنا ، وان العرب سبقوا الغرب اليه)^(٢) ولكن العرب كما يبدو عرفوه بصيغة اخرى فهو (فعالية ثقافية وابداعية ذات ابعاد ومستويات تمس سيرورة الكتابة الادبية اذا اخذنا بعين الاعتبار التناص كدينامية واشتغال محايثين لفعل الكتابة والابداع على السواء)^(٣) وبالعودة الى تراثنا الشعري القديم نجد من الاشارات المهمة التي تشير الى هذا الامر اي النسج على منوال الاخرين يقول عنتره مجسداً ذلك^(٤) :

هل غادر الشعراء من قدوم ام هل عرفت الدار بعودتهم

كما اشار الامام علي (ع) الى هذا الامر بقوله : (لولا ان الكلام يعاد لنفد)^(٥) هذا وقد التفت النقاد القدماء الى ما اسموه بتداول المعاني بين الكتاب في كل زمان ومكان فليس (لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم ... ولولا ان القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته ان يقول)^(٦) وليس ببعيد عن ذلك قول الجاحظ (لا يعلم في الارض شاعر تقدم الى تشبيه مصيب وفي معنى غريب عجيب او لفظ شريف كريم اوفى بديع مخترع ، الا وكل من جاء من الشعراء بعده او معه اذ هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه او يدعيه باسره فانه لا بدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف الفاظهم واعاريض اشعارهم ولا يكون واحد منهم احق بذلك المعنى من صاحبه)^(٧) لعل هذا القول من الاشارات الاكيدة على وجود ظاهرة تداول المعاني بين الناس وفي هذا السبيل يندرج ما طرحه احمد ابن ابي ظاهر (٥٢٠٨هـ) حين عرض لهذه القضية اذ قال (كلام العرب ملتبس بعضه ببعض واخره من اوائله والمبتدع منه والمخترع قليل اذا تصفحته وامتحنته والمحترس المتحفظ المطبوع بلاغة وشعراً من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم ان يكون كلامه آخذاً من كلام غيره ،

(١) ينظر : كتاب العمدة لابن رشيق (باب السرقات)

(٢) الرواية والتراث السردية (نحو وعي جديد بالتراث) سعيد يقطين ، المركز العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ١٢

(٣) شعرية النص الروائي (قراءة تناصية في كتاب التجليات بشير القمري ، شركة البيادر للنشر والتوزيع ، الرباط ، ط ١ ، ١٩٩١ ، ص ٧١

(٤) الخطيب التبريزي ابو زكريا يحيى بن علي (شرح المعلمات العشر) ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٧ ، ص ٢٠٨

(٥) العمدة في محاسن الشعر وادابه : ١٩٨/١

(٦) كتاب الصناعتين : ١٧٧

(٧) الحيوان : ١٣٠/٣

وان اجتهد في الاحتراس وتخلل طريق الكلام ، وباعد في المعنى ، واقرب في اللفظ وافلت من شبك التداخل (١) ، فالتناص ظاهرة انسانية لن تنتهي الا بفناء الوجود فهي حوار مستمر بين الانا والاخر باشكال مختلفة.

وبعد فان مفهوم السرقة ليس مفهوماً ادبياً ، اذ ان النقد العربي القديم في بعض جوانبه قائم على اساس العصبية سواء في الجانب العقدي الفكري او المكاني لذا يمكن اعتبار مصطلح السرقات الشعرية تنسجم مع معطيات عصرهم او النسق الثقافي للامة في تلك المرحلة واذ كانت هناك مجموعة من العوامل التي تصب في هذا الاتجاه منها مثلاً طبيعة الاطروحة الدينية ودور الدين في ارجاع الاشياء الى اهلها.

ثم ان هناك لون من الوان التوظيف الذي يقوم على اساس التشكيك غالباً فقد كان العلماء فضلاً عن امتهاتهم لعمل النقد يملكون اهتمامات فكرية قد تكون ادبية او غير ذلك فضلاً عن الموقف السياسي للناقد ، وكذلك الولاء القبلي وما كان له من دور كبير في توجيه الاشياء. هذان الامران - اعني الموقف السياسي والولاء القبلي - لم يستطع النقاد التحرر من قيدهما في معالجة الامور.

فمصطلح السرقة على ما فيه من الضبابية كان لون من الوان التوظيف الذاتي ، فقد تم توظيفه اديولوجياً للحط من قيمة شاعر او التقليل من ابداعه وهذه لم تكن الحال الوحيدة ، وهناك كثير من المصطلحات التي وظفت بهذا السبيل مثل مصطلح التأويل اذ كان هناك لون من الوان المقبولية لاستعمال هذا المصطلح ضمن نسقه ، واني لا ارى مسوغاً لاستعماله الا كموضوع تأريخي ، اما كقيمة ارى ان مصطلح التناص اكثر قدرة على بيان وجه الترابط بين نصوص مختلفة مع حفظ جهات الاختلاف ، اذ ارى ان هناك توظيف متطابق لنص واحد في سياقات مختلفة فضلاً عن التغيير الحاصل فيه. لذا اجد اننا بحاجة الى اعادة قراءة المدونة النقدية العربية واعادة النظر في هذا المصطلح (السرقة) لاجل انصاف الادباء ورفع الحيف الذي لحق بهم بسبب ظروف سياسية او عصبية قبلية الى غير ذلك من ظروف موضوعية مرتبطة بالنص.

(١) حلية الحاضرة في صناعة الشعر الحاتمي ، ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر ، تحقيق : د. جعفر الكناني ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ٨/٢

التناص في النقد العربي المعاصر

ان مصطلح التناص مصطلح جديد لظاهرة ادبية ونقدية قديمة فـ (ظاهرة تداخل النصوص هي بسمة جوهرية في الثقافة العربية حيث تتشكل العوالم الثقافية في ذاكرة الانسان العربي ممتزجة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل)^(١).

فالتامل في طبيعة الثقافات النقدية العربية القديمة يعطينا صورة واضحة جداً لوجود اصول لفظة التناص فيه وقد اقتفى الكثير من الباحثين العرب المعاصرين اثر التناص في الادب القديم. واطهروا وجوده تحت مسميات اخرى وباشكال تقترب بمسافة كبيرة من المصطلح الحديث ولما كان مفهوم التناص من المفاهيم الحديثة في الكتابات النقدية العربية اذ ظهر اعتماداً على طروحات النقاد الغربيين وهنا يطرح الدكتور صبري حافظ العديد من القضايا التي تطرحها (علاقة النصوص بعضها ببعض الاخر من جهة وعلاقتها بالعالم وبالمؤلف الذي يكتبها من جهة اخرى كما يطرح موضوع العناصر الداخلة في عملية تلقينا لاي نص وفهمنا له ، وهو موضوع يشير بالتالي الى اغلوطة استقلالية النص الادبي التي تتبناها بعض المدارس النقدية والتي انطوت بدورها على تصور امكانية ان يصبح النص عالماً متكاملأ في ذاته مغلقاً عليها في الوقت نفسه وهي امكانية معدومة اذا ما أدخلنا المجال التناصي في الاعتبار ، واذا ما اعتبرناه مجالاً حوارياً في الوقت نفسه)^(٢) ، ان هذا الطرح يجعل مفهوم التناص يتجاوز علاقات التناص التي تتشكل على اساسها النصوص الجدلية بغض النظر عن درجات واشكال هذا التناص الى دور الواقع الخارجي او العلاقة بين العالم والمؤلف الذي يكيف النص في اطار الرؤية التي يقدمها العمل الادبي الى الذات واللغة والعالم في هذا النص وهو هنا يحاول الرد على اصحاب النظرية البنيوية التي تعتبر النص بنية مغلقة على ذاتها ومكتفية بنفسها وهناك من يؤكد (ان موضوع التناص ليس جديداً تماماً في الدراسات النقدية المعاصرة وان بذوره تعود في الدراسات الشرقية والغربية الى تسميات ومصطلحات اخرى كالاقتباس والتضمين والاستشهاد والقرينة والتشبيه والمجاز والمعنى وما شابه ذلك في النقد العربي القديم فهي مصطلحات او مسائل تدخل ضمن مفهوم التناص وصورته الحديثة)^(٣). وهناك العديد من العرب المعاصرين الذين تناولوا التناص

(١) ثقافة الاسئلة ، مقالات في النقد والنظرية ، النادي الادبي الثقافي ، جدة ، ط٢ ، ١٩٩٢ ، ص١١٩

(٢) افق الخطاب النقدي دراسات نظرية وقراءات تطبيقية ، صبري حافظ ، ص٥٨

(٣) التناص نظرياً وتطبيقاً ، احمد الزعبي ، مؤسسة عمان للنشر ، ٢٠٠٠ ص١٩

بالدراسة نظرياً وتطبيقياً ويعد الناقد محمد مفتاح من الذين عملوا على تطور هذا المفهوم - اعني التناص - فقد حاول ان يعرض مفهوم التناص اعتماداً على طروحات كرسيفا وبارت وفي تعريفه للتناص عرض الى تعريفات هؤلاء النقاد وغيرهم. ثم خالص الى تعريف جامع للتناص (هو تعالق الدخول في علاقة مع نص حيث يلتقيان بطرق مختلفة)^(١) كذلك في كتابه دينامية النص يعود ليعطي التناص تسمية جديدة هي الحوارية ويحاول ان يستخدم هذا المفهوم في اطار منهج يستمد من البايولوجيا اغلب مصطلحاته ومفاهيمه ، وفي كتابه الاخر المفاهيم معالم الذي حدد فيه ست درجات للتناص مخالفاً بذلك كرسيفا وجيني الذين حددا ثلاث درجات له ، وذلك بعد ان عرف التناص (باعتباره نصوصاً جديدة تحمل مضامين النصوص السابقة وتؤسس مضامين جديدة خاصة بها يستخلصها مؤول بقراءة ابداعية مستكشفة وغير قائمة على استقراء او استنباط)^(٢) .

وقد اجترح مصطلح جديد للتناص سمي النص الغائب اذ (ان النص كدليل لغوي معقد او كلغة معزولة شبكة فيها عدة نصوص فلا نص يوجد خارج النصوص الاخرى او يمكن ان ينفصل من كوكبها وهذه النصوص الاخرى الانهائية هي ما نسميه بالنص الغائب)^(٣) والتناص (يحدث من خلال قوانين ثلاثة وهي الاجترار والامتصاص والحوار ، ووضع للنص المتناص مرجعيات عديدة منها الثقافية والاسطورية والتاريخية والكلام اليومي)^(٤) ويحدد سعيد يقطين تسميات عدة يشتقها من النص والتناص مثل التفاعل النصي التناص الداخلي والخارجي ويحدد نوعين من التناص عام وخاص التناص العام علاقة نصوص الكاتب بعضها ببعض والتفاعل النصي العام والتفاعل النصي الخاص (والتفاعل النصي الخاص يبدو حين يقيم نص ما علاقة مع نص اخر محدود وتبرز هذه العلاقة بينهما على صعيد الجنس والنوع والنمط معاً ، التفاعل النصي العام يبرز

(١) تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجيات التناص ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ١٢١

(٢) المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص ٤١

(٣) حدائث السؤال ، حمد بنسيس ، دار التنوير للطباعة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ ، ص ٥٩

(٤) المصدر نفسه : ١١٧

فيما يقيمه نص ما من علاقات مع نصوص عديدة مع ما بينهما من اختلاف على صعيد الجنس والنوع والنمط)^(١).

وتعريفات التناص كما بينها النقاد الحداثيون كثيرة ومتشعبة وكلها تدور حول جوهر التناص الذي يصب في النهاية في كونه تأثر نص بنص اخر وتعتمد تقنية التناص على الغاء الحدود بين النص والنصوص او الوقائع او الشخصيات التي يضمنها الشاعر نصه الجديد حين تأتي هذه النصوص موظفة ومذابة في النص فتفتح آفاقاً اخرى دينية واسطورية وادبية وتاريخية عدة مما يجعل من النص ملتقى لاكثر من زمن واكثر من حديث واكثر من دلالة فيصبح النص غنياً حافلاً بالدلالات والمعاني ف (القصيدة باعتبارها عملاً فنياً تجسد لحظة فردية خاصة وهي في اوج توترها وغناها وهذه اللحظة تتصل على الرغم من تفرداها بتيار من اللحظات المتراكمة الاخرى)^(٢) ان الشاعر يتأثر بتراثه وثقافته ويبني عليها شعره ، فالتناص امر لا مفر منه وهو موجود في كل نص شعري اذ (لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتها)^(٣).

ولكن يبقى السؤال كيف نحدد مواطن التناص في نص ما ، وكيف نعرف ان الشاعر قد استثمر بيتاً هنا او اسطورة هناك او معركة ، والجواب ان تميز اشارات الشاعر وتلميحاته امر نسبي لان ذلك يعتمد على معرفة المتلقي ومدى اتساع ثقافته.

فكل حضور ذهني لدلالة ما ونحن نقرأ نصاً فان مرده الى التناص وعلينا حينئذ ان نبحث عن مصدر لذلك الصدى في مخزوننا الثقافي الخاص ومنه نتعرف على كيفية استثمار الشاعر له.

تناص نهج البلاغة مع القرآن الكريم

لقد احتل القرآن الكريم مركزاً مهماً ومكاناً كبيراً في نفوس الادباء وذلك لغنى آياته بمضامين لا تنفذ واسلوبه الغني المعجز ، وبلاغته المشرقة حتى عد (في جميع الحالات اساس الحركية الابداعية في المجتمع العربي الاسلامي وينبوعها ومدارها)^(٤) فضلاً عن احتوائه على قيم فكرية وتشريعات سامية ولما كان من الثابت ان (علي بن ابي طالب فذ من افاذا العقل وهو بذلك قطب

(١) سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي النص السياق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ٩٥

(٢) الدلالة المرئية ، د. علي جعفر العلاق ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ٥٢

(٣) تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ، محمد مفتاح ، ص ١٢٣

(٤) اودنيس : الشعرية العربية ، دار الاداب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٩ ، ص ٤٢

الاسلام وموسوعة المعارف العربية فليس من علم الا وقد وضع اصله او ساهم في وضعه (١) وعند قراءة خطب الامام علي (ع) نجد ان القرآن كان من اولى المصادر التي وظفها الامام في نصه ، وذلك بسبب قربه من القرآن منذ نعومة اظفاره وحفظه له واتقان قراءته فكان القرآن من مناهل ثقافته الاولى فهو (دستور شريعة ومنهاج امة ويمثل في اللغة العربية تاج ادبها وقاموس لغتها ، ومظهر بلاغتها وحضارتها ثم فوق ذلك طاقة خلاقه من الذكر والفكر يجد فيها الذاكرون والمفكرون لمسات سماوية تهدي لها المشاعر وتقشع من روعتها الجلود كلما تدبرت معانيها واستشعرت جلالها) (٢).

لذا عد القرآن رافداً ومنهلاً للادباء ، فاستثمروا طاقاته بما يدعم ويساند تجاربهم الادبية ، ومواقفهم الفكرية وتبرز الوظيفة الاساسية للتناص القرآني في تأسيس لغة جديدة مشحونة بطاقات عظيمة تكسب النص رونقاً وثراءً فنياً ولما كانت (ثقافة الامام هي ثقافة العالم المفرد والقمة العالية بين الجماهير في كل مقام) (٣).

والقارئ لنهج البلاغة يلحظ بشكل جلي حضور النص القرآني اذ كان القرآن من المصادر الاولى التي استنتطقها الامام وهنا نحاول الكشف عن مدى حضور القرآن الكريم ومعاني آياته ومفرداته وتراكيبه وجمله ، وكذلك بيان مدى تناص الامام مع الحديث النبوي الشريف ومضامينه لاجل الوصول الى معرفة دور النص الديني في تفجير الطاقات والمواهب الادبية وتكثيف الدلالات والرؤى الابداعية انطلاقاً من القيمة المعرفية للنصين بوصفهما نصين يحملان بلاغة وغنى في المعنى واللفظ واشعاعها بالطاقة والايحاء ، لذلك من شأنها ان يُسهما في تقوية النص المتناصب بهما وتجلية خباياه واثرائه ومنحه قيمة وفاعلية في نفوس المتلقين ، فضلاً عن منحه صفة الديمومة والجمال الادبي ومن ملامح عبقرية الامام علي (ع) ان نجد (ذلك الذوق الادبي - او الذوق الفني - ملتحق بسيرته لمتلقى الفكر والخيال والعاطفة ؛ لانه رضوان الله تعالى عليه كان ادبياً بليغاً له نهج من الادب والبلاغة يقتدى به المقتدون ، وقسط من الذوق مطبوع يحمده المتذوقون ... فهو الحكيم الاديب والخطيب المبين) (٤) لذا نجد الامام (ع) حاول خلق عالم

(١) الامام علي صوت العدالة الاسلامية ، ص ١١١

(٢) ابراهيم محمد اسماعيل ، معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ٦

(٣) عبقرية الامام علي ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٨

(٤) المصدر نفسه : ١٢

الابداع الفني عن طريق الاشتغال باللغة واليات التصوير الفني الابداعي ليعيد صباغتها وتشكيلها وفقاً لتصور دلالي ولفظي خاص به ، وهنا تتبين القدرة البالغة في وضع الالفاظ والتراكيب التعبيرية في مكانها الامثل داخل النص الادبي ، ويندرج التناسل مع القرآن الكريم ضمن التناسل مع النصوص التراثية الغائبة الذي يعني انفتاح النصوص على خارجها وامتلائها بخطابات شتى سابقة عليها وسمي هذا النوع من التناسل بالتناسل الخارجي الذي يعني (تداخل النص مع الكم الهائل من النصوص التي يمتلئ بها العالم)^(١) فيشكل النص اللاحق النص السابق وفق رؤيته وتجربته حتى يصير احد مكوناته تركيباً ودلالة.

لقد حمل الخطاب القرآني رؤى فكرية ومواقف اجتماعية وعقائدية وضعت حداً للممارسات الجاهلية السلبية كما تميز بالنظرة الشمولية والاستدلالات المنطقية والحجج البرهانية المصاغة بأسلوب فني بديع ، لذلك حطم القرآن الكريم عند نزوله سيادة الخطاب الشعري ووضعاً محله خطاباً جديداً حمل الاسلام الى اصقاع الدنيا (وحفظ العربية من الضياع ونشرها في اقطار الارض)^(٢) فلا غرابة بعد ذلك ان تعد المرجعية الدينية من الركائز الكبرى التي تستند عليها النصوص اللاحقة لانها تمثل المعتقد الذي يعتقد الفرد ، اذ بفضل الايمان بما جاء به القرآن الكريم كانت هناك حركة التاليف اللغوي والديني والادبي التي تزخر بها الحضارة الاسلامية ، ودخل هذا الخطاب القرآني في ضمائر غير المسلمين فلا احد يستطيع الانتقاص من عظمته بل كان الانبهار بأسلوبه ودقة تراكيبه (واذا كان المسلمون يعتبرون ان صوابية القرآن هي نتيجة محتومة لكون القرآن منزلاً ولا تحتمل التخطئة ، فالسيحيون يعترفون ايضاً بهذه الصوابية ويرجعون اليه للاستشهاد بلغته الصحيحة كلما استعصى عليهم امر من امور اللغة)^(٣) ويعني التناسل مع القرآن (التفاعل مع مضامينه واشكاله تركيباً ودلالة وتوظيفها في النصوص الادبية بواسطة آية من آيات شتى ، ويعد هذا النوع جزءاً مما يسمى بالتفاعل مع التراث الديني بانماطه المتعددة)^(٤) مما جعل الانتهاال منه واستلهام آياته أمراً مهماً اذ تضمن الخطاب القرآني مواقف اجتماعية وعقائدية ورؤى فكرية تميزت بالشمولية واستدلالات منطقية مصاغة بأسلوب ادبي

(١) تداخل النصوص في الرواية العربية ، حسن حمد حماد ، الهياض المصري العامة للكتاب ، د.ط ، ١٩٩٧ ، ص٤٦

(٢) العصر الاسلامي ، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط١٠ ، (د.ت) ، ص٣١

(٣) قصة الانسان ، جورج حنا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص٧٩ - ٨٠

(٤) التناسل التراثي في الشعر العربي المعاصر ، عصام حفظ الله واصل ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الاردن ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٠م - ١٤٣٢هـ ، ص٧٧

جميل ومع كل ما في القرآن من هذه الشمولية فقد انشغل النقد العربي القديم بالاعلاء من قيمة النص الجاهلي ، وقد شايحهم في ذلك شعراء العصر الاموي في تقليد هذا النمط الجاهلي وغفلتهم عن نمط القرآني^(١) ، ولو التفت الابداء الى الحمولات المعرفية والمضامين الفكرية للنص القرآني لوجدوا فيه من الاساليب التي يمكن ان تحتذى وينسج على منوالها كالسرد القصصي وتاريخ الامم الغابرة وهذه من الامور التي تزيد في وفرة الذخيرة المعرفية للشاعر والاديب وبالتالي يترقى المبدع وتزداد قدراته الابداعية^(٢) ، هذا وقد شكل كلام الامام وخطبه (مرجعية فكرية وتراثاً ضخماً يؤشر الطاقات الابداعية لهذه الامة وظهر ذلك بشكل جلي بإمكانيات الامام وقابلياته الفكرية في صوغ شتى المعاني ، وكان القرآن الكريم معينه الذي لا ينضب اذ نهل منه شتى المعارف الانسانية)^(٣) اذ كان الامام علي (ع) (يخلط القرآن بذاته ويحوله الى نفسه وفي حياته الى منهج واقعي والى ثقافة متحركة لا يبقى داخل الاذهان ، ولا في بطون الصحائف ، انما تتحول اشكالا واحداثاً تحول حظ سير الحياة ، فالقرآن لا يمنح كنوزه الا لمن يقبل عليه بهذه الروح ، روح المعرفة المنشئة للعمل انه لم يجيء ليكون متاع عقلي ، ولا كتاب ادب وفقه ، ولا كتاب قصة وتاريخ. وان كان هذا كله من محتوياته انما جاء ليكون منهاج حياة وهذا ما تدبره الامام علي (ع) عن القرآن الكريم فكان معه فكراً وعملاً^(٤) فقد اقتفى الامام علي الصياغة القرآنية وسار على نهجها وذلك من خلال اختيار اللفظة الاقدر على الاحاطة بالمعنى والاكثر انطباقاً عليه. ولعل العلاقة الفارقة التي ميزت كلام الامام علي (ع) هي طريقة استعماله للمفردة القرآنية الاستعمال المبني على اساس الفهم الواعي للفظه داخل النص القرآني ؛ وذلك بسبب خصوصية الاستخدام اللغوي الخاص للقرآن الكريم ف (ان تكتسب وعياً صادقاً وان تفاضل بين مبدأ التقييد والانتقاء وانطباعتك الشخصي الحي وان تكون لك معايير ثم تطبقها بمورونة وحكمة

(١) ينظر : الاثر القرآني فينهج البلاغة ، دراسة في الشكل والمضمون ، د. عباس علي حسين الفحام ، مكتبة الروضة الحيديرية للرسائل الجامعية (٤) ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠١٠ م ، لبنان ، بيروت ، ص١٧

(٢) ينظر : تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ، طه احمد ابراهيم ، دار الحكم ، بيروت ، لبنان ، ص١٠٧

(٣) ينظر : اثر القرآن في الادب العربي في القرن الاول الهجري ، ابتسام مرهون الصفار ، دار الرسالة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص١٨٦

(٤) الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة ، قاسم حسين جابر ، المؤسسة العالمية للدراسات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص٣٧

ليس بالأمر السهل اليسير^(١). لقد أبدى الامام قدرة لغوية وبراعة فائقة وذلك من خلال الاتيان بالفاظ قوية الايحاء والتعبير وواسعة الخيال كي ينقل الصورة الى المتلقي باقل الكلمات مع سعة في المعنى وتجلى ذلك واضحاً من خلال التناسل مع نصوص تمتلك ثراء معرفياً وتمتلك حصوبة عالية وفقاً لعملية قصدية واعية تدرج ضمن انتاجية التناسل ف (نحن نسمع الكلمات مثلما نسمع صوت الرعد ، لكن الكلمات تعكس تل المظاهر الاخرى لها طبيعة مزدوجة فهي تحيلنا على ما هو كائن وراءها)^(٢) وهذا ما ظهر جلياً في نص الامام اذ شكل لوحة ابداعية تمتلك قدرة ايحائية وذلك من خلال السيطرة على ادوات الفن ومقومات الصياغة ووسائل التعبير الفني وظهر ذلك واضحاً في دقة استدعائه المرجعيات الثقافية التي منها القرآن الكريم (فلقد كان الاثر الحقيقي المبكر للقرآن في الكلام العربي على لسان علي (ع) فما وصلنا من كلامه المجموع من نهج البلاغة يعد من اظهر تجليات الاثر القرآني من الدب العربي)^(٣) ومما يؤكد اثر المرجعية القرآنية في اسلوبه (اذ انه سعى جاهداً على تبين هذه الثقافة في فكر الناس وذلك من خلال اشاراته على ضرورة اعتماد هذه الثقافة في التعامل الادبي وذلك باحلالها محل البناء اللغوي الجاهلي)^(٤) اذ يظهر على نسج النص عند الامام (ع) انه يستحضر مرجعيته الثقافية ويوظفها في نصه بحيث تبدو جزءاً من نسيجه اللفظي ف (ليس من الضروري بمكان ان تكون انشاءات الكاتب الاسلوبية على صورته من الناحية الظاهرية ، لكن من الضروري للكاتب الحقيقي ان يكون العمق الفكري مائلاً في الحركة التحتية للنص)^(٥) من هنا سنحاول متابعة اليات التناسل القرآني التي رصدها الشراح محل الدراسة في محاولة منهم للكشف عن مدى حضور النص القرآني الكريم ومعاني اياته ومفرداته وتراكيبه وجمله في نص الامام علي (ع) للوصول الى بيان دور النص الديني في تفجير الطاقات وتكثيف الدلالات ونقل الرؤى الابداعية انطلاقاً من قيمة النص القرآني (اذ ان العمدة في الاعجاز اللفظي للقرن الكريم في ان الفصاحة والجمال فيه مما اعجز الانسان العربي مع ان موضوع مطالبه كان يغاير الكلام المتداول في عصره ، متعلقاً

(١) خمسة مداخل الى النقد الادبي ، مقالات معاصرة في النقد ، وييلرس سكوت ، ترجمة وتقديم وتعليق : د. عناد غزوان اسماعيل وجعفر صادق الخليلي ، دار الرشيد للنشر منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقي ، ١٩٨١ ، ص ٤٤

(٢) اساليب الشعرية العربية المعاصرة ، د. صلاح فضل ، دار الاداب ، بيروت ، ص ٥

(٣) الاثر القرآني في نهج البلاغة : ٢٩

(٤) المصدر نفسه : ٣٠

(٥) علي سلطة الحق : ٢٨٧

بعالم غير هذا العالم ومع ذلك اصبح مفتتح عهد جديد للادب العربي بل العالم. وقد تآثر به نهج البلاغة من هذه الناحية ايضاً كسائر الخصائص والصفات ، فهو في الحقيقة وليد القرآن الكريم^(١) وفي هذا ندرك ملكات الامام علي (ع) في قوة احضار النص القرآني وقدرته على التصرف بالجملة القرآنية واعادة صياغتها طبقاً لموقفه الفني (فطبيعة علي بن ابي طالب الشعرية كثيراً ما تحلق به في جو الخيال والشعر)^(٢) وفي ضوء ذلك نحاول تناول التناسل القرآني في نهج البلاغة الذي اشار اليه الشراح في تحليلاتهم لنص الامام اذ تناول هذا النوع التراكيب والمفردات التي استحضرها الامام وادخلها في نصه لاجل اضعاء مزيد من الحيوية والقيمة التفاعلية ، لاجل اكساب المعنى عمقاً وتفاعلاً خلاقاً يجعله اكثر فاعلية في نفوس المتلقين ف (لا يكفي ان تكون للمرء مواهب عظيمة وانما ينبغي ان يعرف كيف يديرها)^(٣) وهذا ما ظهر واضحاً في تعامل الامام (ع) مع النص القرآني اذ انه استلهم لغة القرآن واياته وفحواها ، ووظفها في بنية نصه ، فاغنثه دلاليماً من خلال انفتاحه على ممكنات ادبية فآثر هذا الانفتاح رؤيا ذات دلالات ابحائية عظيمة والامام علي (ع) في تناصه مع القرآن الكريم يمكن ان يوضع تحت عنوانين هما :

- التناسل الامتصاصي

- التناسل الاشاري

التناسل الامتصاصي

التناسل الامتصاصي (هو ان يستلهم الشاعر مضمون نص سابق او مغزاه او فكرته ، ويقوم باعادة صياغة هذا المغزى والمضمون او الفكرة من جديد بعد امتصاصه وتشربه ، من دون ان يكون في النص الجديد حضور لفظي واضح او نكر صريح للنص السابق)^(٤) ويعرفه د. بدران عبد الحسين بقوله (وهو ان يتعامل النص اللاحق مع النصوص الاخرى بوعي حركي متجدد مع الاقرار بالاحترام والتبجيل لتلك النصوص والاعتماد عليها في رسم الهيكلية العامة للنص مع

(١) في رحاب نهج البلاغة : ٣٠

(٢) عصر القرآن : محمد مهدي البصير ، مطبعة النعمان ، ط٢ ، بغداد ، (د.ت) ، ص ٣٤

(٣) خمسة مداخل للنقد الادبي : ٤٣

(٤) التناسل بين النظرية والتطبيق ، شعر البياتي انموذجاً ، د. احمد طعمة حلبي ، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص ١٩١

اختلاف في التفاصيل) (١) اي ان النص المنتج يتكى على نصوص سابقة عليه يتميز بالتعالي النصي والكفاءة الادبية (وتتم عملية الامتصاص في حالة اعتماد التشرب والتحوير بين النص اللاحق والنصوص السابقة عليه وبذلك تكون النصوص السابقة هي المواد الخام التي يختار منها النص اللاحق ما يبقى تشكيله منها ، وبهذا يتميز النص اللاحق عن النصوص السابقة بخصوصيته ومغايرته لها) (٢) والحق ان الامام (ع) قد عرف بدقة الاستعمال القرآني للالفاظ حتى صار اسلوباً مطرداً لدية بسبب فهمه العميق للفظة القرآنية داخل النص وتفاعلاتها مع المفردات الاخرى وهذا ما يبدو واضحاً من خلال ما تمثل به من نصوص ، اذ يظهر عليها انها تمثلت النسخ القرآني خير تمثل فقد حاول الامام (ع) امتصاص قوله تعالى : ((قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)) (٣) وتشربه في نصه ليعيد صياغته بقوله (ع) (فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطي البقاء من احبه) (٤) وبهذه العملية التناسية (يستمر النص السابق غير محو ويحيا بدل ان يموت) (٥) ونجد الثقافة القرآنية باوضح تجلياتها عند الامام في تناسه مع قوله تعالى : ((فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا)) (٦) اذ يتكى الامام على مضمون هذه الاية ليقول : (اوثق سبب اخذت به ، سبب بينك بين الله سبحانه) (٧) اذ حاول الامام (ع) تفكيك بنية النص القرآني اللغوية واعادة تشكيلها في بناء جديد وهي صياغة مختلفة لمضمون واحد ، ولعل من مظاهر ملكات الامام (ع) في قوة احضاره النص القرآني وقدرته على التصرف بالجملة القرآنية واعادة صياغتها ما نلاحظه في صوغه لقوله تعالى : ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا)) (٨) في ثوب جديد فهو يقول : (اعمال العباد في عاجلهم نصب اعينهم

(١) التناس في شعر العصر الاموي ، دز بدران عبد الحسين محمود ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ،

٤٣٣هـ ، ٢٠١٢ ، ص ٤٨

(٢) التناس في شعر العصر الاموي : ٤٨

(٣) آل عمران : ١٥٤

(٤) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٤٦٢/٢

(٥) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، محمد نبيس ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ٢ ، ١٩٨٥ ،

ص ٢٥٣

(٦) البقرة : ٢٥٦

(٧) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٢٨٣/١٦

(٨) آل عمران : ٣٠

في اجلهم) (١) وهنا نلاحظ الجودة والطاقة الدلالية الهائلة والمقصدية التي توصل اليها النسان مقصدية واحدة فقد اصبح النص اللاحق - نص الامام - يدور في فلك النص السابق - القرآن - دون ان يحيد عنه ، ونلمس المقدرة الفنية عند الامام (ع) في استغلال المرجعيات الثقافية والمخزون اللغوي وذلك ما يتجلى بشكل واضح في استدعاء الامام لقوله تعالى : ((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ)) (٢) وهنا يظهر الامام عبقريته الفريدة وتكوينه الفكري وقدرته الفنية من خلال استدعاء مرجعياته الثقافية الغائبة ليقول (فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون) (٣) اذ عمل الامام (ع) على شحن مفرداته ونصه بافكار وفضائل حميدة مستوحاة من النص القرآني الكريم تبين معرفة الامام باشراقات وبلاغة القرآن الكريم واعجازه الاسلوبي العظيم اذ ان (المحتوى الذي حملته الفاظ الامام (ع) في نهج البلاغة يستند الى مرتكزات رئيسية مرتبطة ببنية التكوين الفكري لذهنية الامام (ع) والتي لا يمكن فصلها عن المضمون القرآني بحق) (٤).

حاول الامام (ع) امتصاص قوله تعالى : ((مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)) (٥) وهو ما شار اليه بالاولصاف الاربعة (جنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً) (٦) وهنا تظهر قدرة الامام (ع) الادبية والبيانية في استحضار النص القرآني الكريم والتوليد على اصله (فليس للنص وجود خارج صياغته بكل مستوياتها المختلفة) (٧) وفي نص يحمل من تجليات الجمال الادبي والفني ، اذ تحققت فيه درجة متقدمة من الادبية حاول الامام ان يتكئ على النص القرآني في قوله تعالى : ((وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)) (٨) لينسج على غراره بقوله (ع) : (حتى اذا بلغ الكتاب اجله والامر مقاديره) (٩) اذ يجد الناظر في نص الامام دقة استخدام اللفظ نتيجة الاستخدام للمميز والغني من لفته اذ امتلك (ع) لغة فنية جسدت تجربة متميزة تبغي

(١) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٢٦١/١٨

(٢) الجن : ٢٦ - ٢٧

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ١٥٩/٥

(٤) الاثر القرآني في نهج البلاغة : ٢٥٠

(٥) نوح : ١٣ - ١٤

(٦) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٢٧/٦

(٧) البلاغة الاسلوبية ، محمد عبد المطلب ، مطابع الهيئة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٣١١

(٨) الحجر : ٢١

(٩) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٢٩٢/٧

الوصول الى كمال التعبير ، وهذا ما تحقق عنده اذ فاق اهل عصره في حسن معانيه وتهذيب الفاظه وهذا ما نلحظه من المهارات الفنية والمباني الاسلوبية التي تكشف عن موهبته المعبرة الصادقة العميقة صوب الوصول الى غاية الكمال الفني ، فمن مثال انتقاء المفردات التي تغني النسيج وتزيد في قيمته الفنية نقف عند قول الامام الذي حاول فيه الاتكاء على قوله تعالى : ((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا))^(١) اذ يقول (ع) (واستنفرتم للجهاد فلم تنفروا ، واسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سراً وجهراً فلم تجيبوا)^(٢) اذ يكشف هذا النص عن تفاعل الامام (ع) مع مفردات القرآن الكريم واستثماره لكنوزه المعرفية التي استطاع من خلالها ان ينتج دلالات عميقة غنية تمتلئ بمدلولات انسانية عميقة يلحظ عليها جدة المعنى وجمال العبارة وقوة السبك هذه المزايا وجدت طريقها الى النص عبر منظومة بلاغية وايقاعية واحدة على طول نهج البلاغة ، اذ انتج الامام ابداعاً فنياً رفيع المستوى عد مصدراً ثقافياً متميزاً حمل جملة من الصور المعبرة عن الخصائص العقلية والفكرية والدينية ومن ثم الادبية.

لقد حاول الامام (ع) استنطاق النص القرآني في ضوء ما يمتلكه من ادوات معرفية تهيئه لاعادة انتاج النص بشكل جديد اذ (ان نهج البلاغة من اكثر تجليات القرآن الكريم من الادب العربي ، وان كلام الامام (ع) فيه من ارقى نماذج النصوص البلاغية في التعبير الفني)^(٣) لذا عدَّ نهج البلاغة مظهراً لثقافة واسعة بسبب تنوع معارفه واشتماله على خصائص اسلوبية وجمالية في حدود نظام لغوي خاص يكشف عن تمكن الامام من ناحية اللغة وتطويعها لخدمة متصوراته الذهنية. ففي محاولة منه لتمثل قوله تعالى : ((لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ))^(٤) حاول (ع) ان يحور المضمون القرآني ويعيد صياغته بقوله (ان الله في كل نعمة حقاً فمن اداه زاده منها ، ومن قصر عنه خاطر بزوال النعم)^(٥) تبنت فاعلية التناص في امتصاص المضمون القرآني وتذويبه في النص اذ استثمر الامام الحمولة المعرفية للنص القرآني في سبيل تمرير رسالته وبنفس الوقت توجه المخاطب نحو فعل انجازي معين وهو هنا يريد من الانسان ان يشكر الله على ما انعم عليه باخراج ما عليه من حقوق مادية اضافة الى الحقوق المعنوية فما

(١) نوح : ٥ - ٦

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٤٤٥

(٣) الاثر القرآني في نهج البلاغة : ٥٠٨

(٤) ابراهيم : ٦ - ٧

(٥) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٢١٠/١٠

يتعلق بقضية الجوارح وما عليها من زكاة وهذا التناص لا يعتمد فيه الامام الى التعامل مع النص القرآني تعاملًا صريحاً او مباشراً ومع ذلك نلاحظ الحضور المشرق للنص القرآني ، اذ استطاع ان يفجر المدلولات القرآنية من خلال استدعاء مضامينها او ان يستلهم لفظة او لفظتين وتوظيفهما في نصه بشكل ينم عن قدرته الفنية ، فقد امتلك الامام ثروة لغوية هائلة وقدرة على التصرف بالتركيب والانفاظ وتكتشف معطيات متن الامام (ع) الثري عن استعداده وتشربه لعمل ابداعي تمثل من جزء منه في استيعابه لمضامين النص القرآني ومفرداته وتراكيبه الاعجازية وصوره الياحائية ، ومما لا شك فيه ان الامام (ع) كان يمتلك مخزوناً كبيراً من الثقافة والعلوم والمعارف تمثل ذلك بالنصوص المرجعية المستودعة في الذاكرة فحين نقرأ قوله (ع) (وانحيازكم عن حقوقكم)^(١) ينقلنا الى قوله تعالى : ((لَا تُحَرِّفُوا لِقَوْلِ اللَّهِ وَحَرِّفُوا إِلَىٰ فِتْنَةٍ))^(٢) لقد عانى الامام ما عانى من المجتمع المحيط به وهذا القول قد قاله في بعض ايام صيفين لما لاقاه منهم من صفات ثم عن تخاذلهم وقد استعمل الاسلوب الادبي غير المنفر (فكئی عن اللفظ المنفر عدلاً عنه الى لفظ لا تنفير فيه)^(٣) وقد صدق من قال في اسلوبه (اما من حيث الاسلوب فعلي بن ابي طالب ساحر الاداء والادب لا يكون الا باسلوب المبنى ملازم للمعنى)^(٤) ان انفتاح النص على عوالم النصوص المرجعية يغني النص ويدفعه لحالة من التواصل والتشابك مع نصوص عديدة ما يساعد على انتاج دلالات عميقة غنية تمتلئ بمدلولات انسانية ففي قول الامام (ع) (أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَسَاكِنٍ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اطول اعماراً)^(٥) وهذا المعنى اخذه من قوله تعالى : ((وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ))^(٦) فقد استعرض الامام ثراء لغته التي يبرز فيها محفوظ ذاكرته من الفاظ وتراكيب وجمل وسياقات قرآنية وهذا ليس بغريب من علي بن ابي طالب (ع) اذ (ان شرط البلاغة التي هي موافقة الكلام لمقتضى الحال لم تجتمع لاديب كما اجتمعت لعلي بن ابي طالب (ع) ، فانشاؤه مثل اعلى لهذه البلاغة بعد القرآن فهو موجز على وضوح قوي جياش تام الانسجام لما بين الفاظه ومعانيه واغراضه من ائتلاف حلو

(١) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ١٢٣/٧

(٢) الانفال : ١٦

(٣) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ١٢٣/٧

(٤) روائع نهج البلاغة ، اختارها ورتبها وقدم لها بدراسة واسعة ، جورج جرداق ، ص ٢٧

(٥) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ١٥٨/٧

(٦) ابراهيم : ٤٥

الرنة في الاذن موسيقى الوقع)^(١) من هنا نلمس المكانة العالية لنص نهج البلاغة اذ نلاحظ الجمال الاسلوبي المتفرد وذلك من خلال اختيار اصى العبارات ويظهر ذلك جلياً في اشكال التفنن في الاداء الكلامي عند الامام (ع) ففي قوله (واعظم ما هنالك بلية نزل الحميم وتصلية الجحيم)^(٢) اذ جعل الامام النص القرآني بؤرة مركزية فنية مولدة ينطلق منها وذلك بسبب كون القرآن منهلاً عذباً يزود الادباء والمنشئين بالفاظ وتراكيب عجيبة.

وذلك ما جعله يمنح من مظانه وينهل من ينابيعه الثرة فالامام (ع) في قوله السابق استغل بنية النص القرآني في قوله تعالى : ((وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٦٠﴾ فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦١﴾ وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ))^(٣) اذ يشير الى المصير الذي ينتهي اليه المكذبون المنحرفون عن جادة الصواب ، وقد جاء نص الامام متواشجاً مع النسيج القرآني موظفاً التناص الاشاري من اجل بلورة موقفه اتجاه وصف يوم القيامة ويلحظ على النص جمال السياق وحسن النسق في كلام بلغ من الحسن غايته فالامام في (كل تجاربه الشخصية منطلقاً من المفهوم القرآني للحياة والانسان وارتباطه بخالقه)^(٤) اذ انه بتناصه مع القرآن الكريم وينابيعه الثرة استطاع ان يلقي الضوء على قيم انسانية رفيعة فالانسان في هذه الدنيا معرض لمختلف الامتحانات ومنها فتنة المال والاولاد وغيرها من متع الحياة الدنيا وهذا ما لاحظه الامام (ع) بقوله (من استغنى فيها فتن)^(٥) فقد وظف الامام التناص الاشاري مع قوله تعالى : ((إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ))^(٦) ويشير التناص السابق الى انه توظيف بارع وقدرة فائقة في التحام النص عند الامام مع النص القرآني في علاقات سياقية منسجمة فهو ذو عبقرية فريدة وتكوين فكري فضلاً عن قدرته الفنية في استغلال المرجعيات الثقافية والمخزون اللغوي على التعبير والتصوير والايحاء ولعل من المصاديق على قولنا السابق قوله (ع) : (غرارة ما فيها فانية فان من عليها)^(٧) في هذا النص وظف الامام بعض مرجعياته الثقافية الدينية وذلك بالاتكاء على قوله تعالى : ((كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا

(١) روائع نهج البلاغة : ٢٨

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البراعة : ٣٠/٦

(٣) الواقعة : ٩٢ - ٩٤

(٤) الاثر القرآني في نهج البلاغة : ٢٥٠

(٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٢٨٤

(٦) التغاين : ٩

(٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ١٩/٨

فَإِنَّ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ))^(١) ان استحضر النص القرآني واستثماره بعد تأكيد لعلاقة المشابهة ما بين المضمون في الخطاب القرآني ومضمون نص النهج ، اذ ان الخطاب القرآني اشار الى زوال كل شيء والبقاء لوجه الله وحده ، والامام سار على نفس النهج ليؤكد على هذه الحقيقة الناصعة فهذه المعاني التي اشار اليها الامام تمثل احساسات ومشاعر مبنوثة في النفوس المؤمنة وليست مظاهر خارجية اذ (ان قسط علي بن ابي طالب من الذوق الفني او الحس الجمالي) لمما يندر وجوده وذوقه هنا كان المقياس الطبيعي الضابط للطبع الادبي عنده ... لذا تميز ادب علي (ع) بالصدق كما تميزت به صياغته ، وما الصدق الا ميزة الفن الاولى ومقياس الاسلوب الذي لا يخدع^(٢) ولعل من مظاهر القدرة الفنية عند الامام القدرة المبدعة والصورة الخيالية من خلال التناسل مع مضمون الخطاب القرآني باجلى صورة بحثاً عن رؤية فكرية واسعة الافاق وهي ظاهرة تكررت كثيراً في المتن الادبي للامام (ع) استطاع من خلالها استغلال الحمولات المعرفية للنص القرآني ليرسم بالتناسل صورة تعبر عن طابع المعاناة الحقيقية للوجود الانساني مستمداً بواعث تلك الصورة في حتمية الموت وان لا مفر للانسان من هذا الاجل وهذا ما اشار اليه (ع) بقوله : (ايها الناس كل امرئ لاقٍ ما يفر منه في فراره)^(٣) وفي هذا القول صورة معبرة عن استيعاب الامام للغة القرآنية وتمثلها في نصوصه لتصبح عاملاً مهماً في اعطاء النص الابداعي ابعاداً عميقة في الرؤية الكلية للوجود وهنا تتحقق الجمالية الابداعية للنص الادبي للامام ضمن عمل فني متكامل تأخذ بعض الفاظه برقاب بعض بحثاً عن رؤية فكرية واسعة الافاق وتكشف القراءة المتأنية لقوله (ع) : (وناظرة عمياء وسامعة صماء وناطقة بكماء)^(٤) ان الامام (ع) يتناسل مع دلالات ورؤى القرآن الكريم وجمالياته الابداعية وهو ناظر الى قوله تعالى : ((صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ))^(٥) ان هذا الاستخدام والتوظيف القرآني يكشف عن ذوق مدرب اكتسب خبرة واسعة ويبدو ذلك جلياً من خلال الاتيان على جميع جزئيات المعنى المراد تصويره اذ يذهب (ع) الى افق فكري اعلى من خلال خلقه لمعنى لم يكن موجوداً من قبل وذلك من خلال الوسائل التعبيرية التي تسهم في اتساع فضاءات الدلالة في النص ويتجسد ذلك

(١) الرحمن : ٢٦ - ٢٧

(٢) روائع نهج البلاغة : ٢٨

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ١١٢/٩

(٤) نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ١٢٥/٦

(٥) البقرة : ١٨

في اشكال تعبيرية متنوعة تتميز بقوة الاداء وقدرة التأثير في المتلقي اذ صور الامام (ع) في ادبه تجربة الحياة الانسانية بخيرها وشرها ف (لا يعد الاثر الادبي جيداً الا اذا هدف الى ما يهدف اليه مجتمعه)^(١) وهذا ما تمثل بخطابه (ع) على طول نهج البلاغة فالالفاظ خزين هائل من التجارب البشرية فهي (كالقمام اغلقت سداداتها على شحنة من تجارب لا حصر لها اختزنها فيها الانسان على مر العصور)^(٢) ولعل قوله (ع) (احب اليّ من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد) لا يبعد عن المضمون اعلاه وهو (ع) في ذلك يتناص مع الخطاب القرآني في قوله تعالى : ((رَبِّ السَّجُنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ))^(٣) وبذلك تحقق التناص الاشاري في كلمة (أحب الي) فالنصوص القرآنية قادرة على رقد الذاكرة بمعاني ودلالات ومعارف كثيرة وان استلهم آيات القرآن ينتقل بالنص من العمق الى نص ملئ بالتجارب والحقائق اضافة الى جعل النص منفتح دلاليّاً ، فالقرآن الكريم لم ينل كتاب ديني او دنيوي سلطة تأثيرية في النفوس مثلما ناله فهو الذي تحدى العرب ان يأتوا بمثله وبذلك قضى على الخطاب الشعري وجاء بخطاب جديد هو الخطاب القرآني الذي نشر الاسلام في كل مكان.

التناص مع الحديث الشريف

يعد الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع التي يأخذ بها المسلمون في حياتهم ويقرون بما جاء به ولما كان علي بن ابي طالب قد ربي في حجر الرسول ونهل العلم من معينه الزاخر (اما علمه بالحديث فلا يشق له غبار وليس في ذلك ما يستغرب ، وقد رافق الامام اطول زمن رافقه فيه مجاهد وصحابي فسمع منه ما سمعه الآخرون وما لم يسمعه ويقال ان علياً لم يكن يروي من الحديث الا ما سمعه بنفسه من الرسول لانه كان مطلق الايمان بان كلمة واحدة من حديث النبي لم تفت قلبه)^(٤) فقد دأب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على توضيح ما في الحديث من فضائل وشمائل وسلوكيات وتشريعات اسلامية كثيرة كانت قد اجملت ولم تبين في القرآن. هذا وقد شكل الحديث النبوي الشريف في المتن الادبي للامام علي (ع) مادة خصبة ومصدراً اساسياً من مصادر ثروته الادبية فقد اخذ ينهل من معينه وكثيراً ما كان يستحضر بعض

(١) في النقد الادبي : شوقي ضيف : ٥٠

(٢) فنون الادب تشارلتون : ٣٦

(٣) يوسف : ٣٣

(٤) الامام علي صوت العدالة الانسانية : ١٩٢

الفاظ الحديث النبوي الشريف موظفاً اسلوبه توظيفاً ادبياً فكان تفاعل الامام مع الحديث الشريف يجسد التناص الديني ويعبر عن عمق المام الامام بمضامين الحديث النبوي الشريف لم يكن تناص الامام مع الحديث مجرد احياءات (بل انه عملية احتراف مقصود للبنية اللغوية القارة في الذهن في شكل اشعاعات دلالية تجعل الماضي الجميل المستعار شعورياً او لا شعورياً لخلق فضاء مضيء متداخل الدلالة ولذلك فان الحضور الذهني المشترك بين اشارات النص التي يدركها المتلقي بعد ان يستوعبها المبدع هو الذي يقيم العلاقات وينتج الدلالات ويجعل النص بنية مفتوحة على الماضي وقارة في الحاضر) (١).

لقد استوعب الامام عليه السلام مضامين ودلالات الحديث النبوي الشريف وطاقاته اللغوية الفنية واستطاع ان يدمجها في نصه بشكل فني بسبب اضواء الحديث النبوي على حمولات معرفية وتجارب انسانية وصور بلاغية ووفرة في المدلولات مما يزيد المتن الادبي للامام تجديداً وغنى في المضمون لقد استطاع الامام عليه السلام استحضر النص الغائب اعني الحديث النبوي وقام بتحويله واعادة انتاجه في سياق رؤيته الخاصة واستطاع بذلك ان يبين منه موقفاً جديداً وتتجلى فاعلية التناص فيه من خلال التعبير عن قيم انسانية رفيعة ترتبط بمدلول النص وقد اشار الشراح في مواضع معينة الى تناص الامام مع الحديث النبوي الشريف دون ان يسموه بهذا الاسم ويجد الباحث ان يسمي هذه الاشارات باسم التناص ومن الامثلة على ذلك قول الامام علي عليه السلام (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر) (٢) في هذه الحكمة الرائعة للامام تأكيد على اهمية الافعال اذ لا جدوى من القول ما لم يقرن ذلك بتطبيق عملي يبرهن على القول والامام في قوله ذلك يتكئ على قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (احمق الناس من ترك العمل وتمنى على الله) (٣) فقد عضد الامام قوله مستنداً على مرجعية فكرية اصيلة متمثلة بالحديث النبوي الشريف ، وهنا حاول الامام ان يحقق التناص الامتصاصي وذلك من خلال الصياغة لمضمون الحديث النبوي الشريف.

اذ نجد الامام عليه السلام يستغل قدراته الاسلوبية وفنيته التعبيرية (فيوظف الحديث النبوي الشريف توظيفاً فنياً بارعاً وهذا ما تمثل بقوله عليه السلام (وامرك ان تسأله فيعطيك وتسترحمه

(١) الغدامي ثقافة الاسئلة : ١١٣

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني : ٤٨٢/٥

(٣) المصدر نفسه

ليرحمك) (١) اذ ارتكز الامام عليه السلام على الحديث النبوي الشريف الذي يقول (لا يزيد من العمر الا البر ولا يرد القدر الا الدعاء) (٢) اذ حاول الامام تفجير الطاقات الدلالية للحديث ويعيد تشكيله من جديد من خلال آلية التناسل الامتصاصي من اجل تعميق الموقف الفكري الذي يدعو عن طريق انفتاحه على عوالم غنية بالدلالات والايحاءات الفكرية وهنا تظهر براعته في الافادة من التناسل فهو ياخذ الفاظ النص الغائب ويعيد تمثيلها متخذاً اياها وسيلة لخدمة النص الحاضر.

لقد (بسط الامام المعرفة بأسلوبه الخاص ومنطقه المعجز سهلاً ممتنعاً) (٣) لذا جاء كلامه في اعلى مراتب البيان وارقى اساليب الاعجاز اذ نجده يرسل المعاني الدقيقة والاجوبة المسكنة كل ذلك بأسلوب مشرق قوي محمل بالحكمة ما ينبئ عن غزارة علمه وصحة تجربته وادراكه الحقائق الاشياء اذ (ان الامام لم يتكلم في الفخر ... او الشعر وهي ساحات واسعة للخيال والوصف الفصيح ولم يقل ما قاله ليكون مقالاً جميلاً تضرب به الامثال فيبيدي بذلك مهارته الفنية في الكلام. كلا اذ لم يكن الكلام هدفاً له بل وسيلة الى اهدافه انه لم يرد ان يخلق لنا بمقالة اثرأً فنياً او يبدي عبقريته الادبية) (٤).

حاول الامام استغلال آلية التناسل الامتصاصي في قوله عليه السلام (قارن اهل الخير تكن منهم وبابن اهل الشر تبين) (٥) اذ حاول عليه السلام تمثل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المرء على دين خليله وقربنه) (٦) وامتصاصه واعادة كتابه في نصه وبهذا اضفى الامام على نصه طاقة تعبيرية ودلالية هائلة وذلك لما يتصف به الحديث من ثراء ثقافي واسع وقيمة ابداعية متميزة. فقد حاول الامام انتقاء المفردات التي تغني النسيج وتزيد في قيمته الفنية لذا جاءت تناسلاته حاملة لكثير من الرؤى الروحية والفكرية والدلالية العميقة. وهذا ما بدا جلياً في تناسلاته عليه السلام مع الحديث النبوي الشريف واللافت للنظر ان جل التناسلات مع الحديث النبوي كانت بطريقة التناسل الامتصاصي ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على استيعاب الامام عليه السلام لمضامين الحديث النبوي وبذلك جاءت مذابة في نصه بشكل يؤشر ثقافته المتميزة في هذا

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٢٨٥

(٢) بحار الانوار : ١٦٨/٧٧

(٣) ملامح من عبقرية الامام علي : ٢٧

(٤) في رحاب نهج البلاغة : ٣٠

(٥) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٣/٨

(٦) الكافي : ٦٤٢/٢١

المجال اضافة الى ثقافته الموسوعية الاخرى اذ (ان الكلمة هي مرآة الروح الانسانية ولذلك فان كل كلمة تتعلق بنفس العالم الذي ترتبط به روح صاحبها. فالكلمات تتعلق بعوالم عديدة تكون علامة على ذلك الروح الذي لم ينحصر في عالم واحد ، وحيث ان روح الامام لا تتحدد بعالم خاص ، بل هو ذلك الانسان الكامل الجامع لجميع المراتب الانسانية والروحية والمعنوية فلا تختص كلماته ايضاً بعالم واحد. ان من مميزات كلام الامام عليه السلام انه ذو ابعاد متعددة وليس ذا بعد واحد)^(١).

ففي قول الامام عليه السلام (وامحض اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة)^(٢) فالنص يرشد الى اداب جليلة توجب النصح للاخلاء والاصدقاء ومن يطلبون المشورة وهذا ادب اسلامي رفيع والامام في هذا القول يتكئ على قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (اعن اخاك ظالماً او مظلوماً فان كان مظلوماً فخذ له بحقه ، وان كان ظالماً فخذ له من نفسه)^(٣) اذ تفاعل الامام عليه السلام مع الحديث الشريف واستطاع من خلال ذلك ان يبيلور موقفه الفكري من خلال استلهم كلمات الحديث النبوي الشريف وتوظيفها في سياق حديثه وذلك عن طريق استعمال اللفظة الموحية (فهي القياس الفني لتقدير قيمة اللفظ)^(٤) اذ يلحظ على اسلوب الامام انه يتخير اللفظ الشريف والسبك المتين فيجعلها جزءاً من اسلوبه فكل نص من نصوص الامام يرتبط بسياق معرفي خاص به. وهو يمثل مضموناً فكرياً وثقافياً كبيراً ورصيد امة باكملها ، مما يعطي للنص خصوصية الابلاغية والاقناعية.

ففي قوله عليه السلام (ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى)^(٥) ان النص يرشد الى آداب جليلة بان يكون الانسان على وتيرة واحدة من السلوك وان لا يخضع سلوكه لظروفه الذاتية وبذلك محط ذم وتقريع والامام بذلك يستثمر مضمون الحديث النبوي الشريف الذي يقول (ما اقبح الفقر بعد الغنى ، واقبح الخطيئة بعد المسكنة ، واقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته)^(٦).

(١) في رحاب نهج البلاغة : ٢٨

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٢٠/٨

(٣) المصدر نفسه

(٤) الصورة الفنية في المثل القرآني ، دراسة نقدية بلاغية ، محمد حسين الصغير ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ ، ٢٥

(٥) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٢٨/٨

(٦) كشف المحجة : ١٦٩

لقد حقق الامام في هذا النص التناص الاسلوبي مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ ان (الوظيفة التي يحققها التناص الاسلوبي تكمن في محاولته نقل المتلقي الى اجواء النص المستحضر كله بحيث يشعر المتلقي وكأنه امام هذا النص مباشرة من دون ان يكون هناك وسيط بينهما ، وذلك على الرغم من تباعد الزمان والمكان)^(١).

اذ نجد في قول الامام السابق (اسس الحياة حيث المجتمع الكامل في اوفى معنى واقصر تعبير)^(٢).

فقد جمعت كلمات الامام افصح لفظ الى اتم تركيب انها من مفاخر الادب العربي وقد شكلت هذه السمات قيمة فنية لا يمكن للنص ان يستغني عنها دون ان يفقد بعضاً من براعته الفنية اذ (يندمج الشكل بالمعنى اندماج الحرارة بالنار ، والضوء بالشمس والهواء بالهواء ، فما انت ازاءه الا ما يكون المرء قبالة السيل اذ ينحدر ، والبحر اذ يموج)^(٣).

ونستطيع ان نبين الالفاظ وسحرها وجمالها فقد استطاع الامام بحسه اللطيف ان يؤشر العالم الجوهرية في شؤون الحياة في محاولة منه للارتقاء بالجمهور الى المثل العليا تمشياً مع روح العصر ومقتضاياته واستطاع من خلال ذلك ان يضع دستوراً لحياة عقلية خصبة بين القسّمات والملاحم وذلك في نظم حسن وتأليف مختار يدل على براعة صاحبه وجودته الفنية اذ يلحظ المتلقي ان الامام عليه السلام ينشد الكمال في التعبير مراعيّاً في ذلك حجم الظروف الفكرية والثقافية والاجتماعية المحيطة بانتاج النص ولعل خير ما يجسد ذلك قوله عليه السلام (فليعمل العامل منكم في ايام مهله قبل ارهاق اجله وفي فراغه قبل اوان شغله ، وفي متنفسه قبل ان يؤخذ بكظمه ، وليمهد لنفسه وقدمه ، وليتزود من دار وضعنه لدار اقامته)^(٤) اذ حاول الامام الاشارة الى جملة من المقدمات الاساسية بغية الوصول الى نتائج حتمية وهو في هذا حاول اختيار الوسائل اللغوية بشكل يتناسب والمضمون الفكري للنص الذي يحمل طابعاً خطابياً بلغ الغاية في الحسن والنهاية في الجودة والامام في ذلك اخذ قوله من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(١) التناص بين النظرية والتطبيق ، البياتي نموذجاً ، د. احمد طعمة حليم ، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص ٢١٦

(٢) ملاحم من عبقرية الامام : ١٩

(٣) روائع نهج البلاغة : ٢٧

(٤) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٤١٣/٦

(ايها الناس ان لكم معالم فانتيهوا الى معالمكم وان لكم غاية فانتيهوا الى غايتكم. ان المؤمن بين مخافتين او بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به ، واجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت ، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار)^(١) تتبدى فاعلية التناسل عند الامام في امتصاص قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو من ابداع ما قيل في هذا المعنى (فكل نمط من انماطه كلامه شاهد له بالملكة الموهوبة في قدرة الوعي وقدرة التعبير)^(٢) فقد حاول الامام عليه السلام في خطابه الوعي بالمشكلات الكبرى التي تهدد كيان الامة وسعى جاهداً لان يضع الحلول الناجعة لتلك المشكلات وبذلك مثل خطابه ارقى مظهر فكري بوصفه نمط الابداع الامثل (فالشيء غير الطبيعي الخارج عن العرف في اي عمل هو الذي يشد الانتباه اكثر من الاشياء الاخرى)^(٣) وهذا ما تجسد في خطاب الامام اذ انه يلتبس المعنى المصيب واللفظ المتخير يقوده في ذلك بصر محكم تميز به المعاني والالفاظ بعضها من بعض في قول يكشف عن سلوكية اخلاقية عالية في الافصاح عن الحق وفي اجادة وصفه فهو لا يضل الطريق في الوصول الى المعاني الكبار وبهذا يتحقق الكمال اللغوي لنهج البلاغة لا شك ان توظيف النصوص الدينية يعد انجح الوسائط الثرية المؤثرة التي تساعد على اظهار قوة النص ومتانته بسبب طبيعة النص الديني وما يمثله من قدسية وكذلك اهتمام البشر بهذا النص ومحاولة حفظه وتذكره من هنا نلاحظ الوجود الموضوعي والحضور الفاعل للحديث النبوي الشريف في نص الامام عليه السلام ولما له من قوة بلاغية تظهر نبعاً للمقامات التي يرد فيها اذ انه مميز بالايجاز وكثافة المعنى وعمق الدلالة ففي قول الامام عليه السلام (ان لك من دنياك ما اصلحت به مثواك)^(٤) قال ابن ابي الحديد (كلامه هنا مأخوذ من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا ابن ادم ليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت ، او لبست فابليت ، او تصدقت فابقيت)^(٥) اذ اقترب النص في محموله الدلالي من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تركيب فني محكم وجمالية فائقة اثرت المحمول الفكري للنص وقد تم التناسل هنا وفق آلية الامتصاص اذ قام الامام

(١) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٤١٣/٦

(٢) عبقرية الامام علي : العقاد : ١٤٥

(٣) بلاغة النور جماليات النص القرآني : نفيذ كرماني ، ترجمة : محمد احمد منصور محمد عجاج احمد عبد الغني

معوض محمد سالم يوسف ، مراجعة : سعيد الغانمي منشورات الجمل ، ص ١٤٧

(٤) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٢٩/٨

(٥) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٢٢٦/١٦

بتدوين النص النبوي الشريف واعادة الصياغة نظراً لاهمية المحمول الفكري للحديث النبوي الشريف اذ يؤكد على اهمية البذل في سبيل الله في ذلك اشاعة لروح التكافل الاجتماعي فهذا المغزى يغوص عميقاً في الوجود الانساني العام ويتبدى في مخزونات المعاني التي يحتوي عليها مضمون النص النبوي الشريف اذ يتبين من النص عمق التزامه بمصلحة الجماعة وذلك من خلال التأكيد على استلهاام الاخلاق الاسلامية في مقاربة لنص الامام في الحكمة التي تقول (من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة)^(١) والذي يعني به ان من ينفق في سبيل الله شيئاً بسيطاً فان الله سبحانه وتعالى يجزل عليه من العطاء اضعافاً كثيرة مما انفق ولعل الامام عليه السلام اخذ المعنى من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى)^(٢) وقد قال الشريف الرضي (هذا القول مجاز لانه صلى الله عليه وآله وسلم اراد باليد العالية يد المعطي وباليد السافلة يد المستعطي ولم يرد على الحقيقة ان هناك عالياً وسافلاً وصاعداً ونازلاً وانما اراد ان المعطي في الرتبة فوق الاخذ لانه الفضل والمحسن والمجمل وليس هذا في معطي الحق وانما هو في معطي الرغد ومسترفده وليس المراد انه خيرٌ في الدين بل المراد انه خير في النفع للسائلين وانما كنى عن هاتين الحالين باليدين لان الاغلب ان يكون بهما العطاء والبذل وبهما القبض والاخذ)^(٣) ونلاحظ هنا ان الامام عليه السلام يلتمس المعنى امصيب واللفظ المتخير يقوده في ذلك بصبر محكم يميز بها المعاني والالفاظ بعضها من بعض.

لاحظنا فيما مر بنا من كلام ان الامام عليه السلام يتكئ على مرجعيته الدينية المتمثلة بالحديثالنبوي الشريف وقد ظهر من خلال البحث انه عليه السلام في خطابه يؤكد على حسن بيانه في صياغة الفاظه وكذلك ابتعاده عن الحوشي الغريب وقد كان خطابه عليه السلام قد شكل الميادين الحقيقية للتفكير لدى الانسانية جميعاً فهو يلامس القلب بواقعيته ذلك ان التجربة اللغوية في عالم نهج البلاغة تجربة غنية تتعامل مع اللغة من موقع العالم العارف لا من موقع المتعلم الذي يجهل الفروق الدلالية بين المفردات التي يوظفها في خطابه فقد استثمر الامام الحمولة المعرفية للنص القرآني والحديث النبوي الشريف في سبيل تمرير رسالته الانسانية وبنفس الوقت استطاع من خلال ذلك ان يوجه المخاطب نحو فعل انجازي معين من منطلق تسانده المعرفة

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ١٨٢/١٣

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

اللغوية الواسعة والذوق السليم والحس المرهف ، لذا كان خطابه يحمل مضموناً فكرياً وثقافياً عالياً فـ (اذا كان النص يعيد توزيع اللغة وهو الفضاء الذي تقع فيه عملية توزيعها فان احدى الطرق التي يتم بها هدم اللغة هي مبادلة النصوص او شذرات النصوص التي وجدت او ما زالت توجد حول النص الذي اندرجت فيه اذ ان كل نص بالضرورة هو نص متداخل نص تتداخل في انحائه نصوص اخرى ، في مستويات متغيرة واشكال تتعرفها ، ولا تتعرفها على الاطلاق)^(١) وبذلك فان المتن الادبي للامام عليه السلام يفتح على القرآن الكريم وعلى الحديث النبوي الشريف.

فالابداع لا يمكن ان يعتمد على المبتكر وانما هو ايضاً (انشاء وجود جديد من اشياء سابقة في الوجود)^(٢) ومع ذلك يبقى التناسل عملاً ابداعياً وليست اتباعياً وبالتالي فهو تعبير عن الذات المنتجة.

التناسل الذاتي

ان المبدع قد يتناسل مع نفسه من خلال نصوصه هو كما يستطيع ان يتناسل مع نص واحد فقط لمبدع آخر او نصوص اخرى لادباء اخرين ، وقد تكون عملية التناسل بين جنسين ادبيين او على مستوى جنس ادبي واحد ان التناسل يرتكز على مبدأ الشكل والمضمون ولا يقف عند حدود احدهما ، ولكن يؤخذ بنظر الاعتبار ان التناسل قد يكون شكلياً لا مضمونياً والعكس صحيح دون التلازم بينهما ، ان الاديب في تكوينه المعرفي لا يمكن ان ينفصل عن غيره بل هو عبارة تراكمية معرفية اذ (ان كل انسان يعيش داخل مجتمع يكون نصف ما يتلفظ به على الاقل من كلام الاخرين)^(٣) لذا صار الاديب ومعه النص الادبي عبارة عن بناء متعدد القيم والاصوات اذ تتوارى خلف كل نص ذوات اخرى غير المبدع من دون حدود او فواصل ، وبذا يكون النص الجديد هو اجترار لنصوص سابقة لا يتسنى معرفتها الا من ملك الخبرة والمران في هذا المجال وذلك من خلال المداومة على قراءة النصوص عالية الابداع والتي تحتوي على القيم الجمالية التي ينبغي ان تتوفر في العمل الادبي ويشترط النقاد التجاور للنصوص التي يتناسل معها النص والا لا يعد العمل الادبي ابداعاً بل يصبح اتباعياً ويقصد بالتناسل (التفاعل القائم على تعالق

(١) تداخل النصوص في الرواية العربية : ٢٨

(٢) ازمة الابداع في الفكر العربي المعاصر ، حمد عايد الجابري ، مجلة فصول ، العدد ٣ ، ١٩٨٤ ، ص ٢٥

(٣) الخطاب الروائي : ميخائيل باختين : ٩٤

نصوص المؤلف والشاعر فيما بينهما ... وبذلك يصلح التناص ان يكون سمة وصفية للاسلوب^(١) ويكون الناتج الجمالي من امتزاج النصوص المتناصّة وذلك من خلال استدعائها من الذاكرة القرائية للمنتج ، وبذلك تأتي التناصات حاملة للكثير من الرؤى الروحية والفكرية والدلالية التي تجعل النصوص تنفتح على افاق متعددة من الرؤى والدلالات التي يجدها المنتج من خلال تفجر الطاقات الدلالية للنصوص المخزونة في الذاكرة القرائية التي تنفتح على القيم الابداعية لتلك النصوص المستدعاة.

وهناك عوامل مشتركة تجعل من التناص الذاتي (ظاهرة لا يخلو منها ديوان شاعر او مؤلفات اديب ولعل من ابرز تلك العوامل هي الذاكرة والخيال والشعور والعاطفة)^(٢) بالنسبة لخطاب الامام (ع) فنجد ان هذا النوع من التناص قد وجد مجسداً في خطابه (ع) اذ ان هناك تقارب مضموني بين النصوص فقد يحدث ان تلتقي النصوص في الجو العام الا انها تختلف فهناك وحدة في الاسلوب واختلاف في مضمون الخطاب وقد يحدث تناص اسلوبي احياناً لكن المضمون يختلف تماماً ، ولعل هذا الملحظ ممكن ان نجده في اسلوب القرآن الكريم اذ (ان اللاحاح على بعض الموضوعات دون غيرها يعود الى الحيز الذي تشغله في ذاكرة المنتج فتكون مرشحة للاستدعاء والتذكر اكثر من غيرها وتتشعب في نصوص كثيرة سواء قصد المنتج ذلك ام لم يقصد)^(٣) وهذا ما تجلى بشكل لافت للنظر في خطاب الامام علي وتأثره بنسق الخطاب القرآني اذ ان القرآن الكريم يعمل على تكرار وحدات تركيبية متشابهة لكن مؤدى القول يختلف من موضع لآخر فمثلاً ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ، ان ذلك لايات لقوم يعقلون افلا يؤمنون افلا يعقلون ، هذا التغاير عند الامام يكشف عن تربية قرآنية (اذ كان الاثر الحقيقي المبكر للقرآن الكريم في الكلام العربي على لسان علي (ع) فيما وصلنا من كلامه المجموع في نهج البلاغة يعد من اظهر تجليات الاثر القرآني في نهج البلاغة)^(٤) ولما كان البعد الرسالي هو مقصود القرآن الكريم ومقصود نهج البلاغة ، فلا مشاحة من تكرار الكلام اذا كانت هناك غاية من وراء هذا التكرار والبعد الغائي هو الذي حرك الامام ، اذ ان هذا التكرار بسبب وجود الاختلاف في الظرف الموضوعي لقول النص مثل هذا الامر يلحظ في البعد الرسالي.

(١) التناص في شعر العصر الاموي : ٢٣٨

(٢) المصدر نفسه : ٢٣٩

(٣) المصدر نفسه

(٤) الاثر القرآني في نهج البلاغة : ٢٩

اما الجانب الاخر فهناك فرق بين النص والخطاب ، فالنص هو الوحدة الكلامية اما الخطاب فهو النسق الكلي الذي يحكم المنظومة الكلامية ، اي قراءة النص ضمن نسقه ، لكن قراءته ضمن الخطاب يختلف المقصد اذ ان النص هو المكتوب ، اما الخطاب فهو المفعول في الخارج على سبيل المثال قول الرسول (ص) : (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه) في مورد هناك اعتداء واقعي وكان الخطاب موجه الى شخص اساء فنقول له (المسلم من سلم المسلمون ...) .

انت لم تلتزم. وفي المقام عدم وقوع هذا الفعل فالقول رسالة تحذير ، اما في مقام رواية الحديث فهي اخبار عن امر واقعي اذ نلاحظ ان دلالة النص تغيرت بحسب الخطاب. اذ ان تفعيل النص على مستوى ظرفه الاجتماعي حدث تغير دلالي في خاصية الخطاب.

فالقرآن الكريم يكرر بعض المقاطع ، وبالرغم من وحدة النص الا ان التبئير يختلف (ويقصد التبئير جعل العنصر او المكون بؤرة في اللسانيات التداولية قيل ان ينتقل الى ميدان الرواية والنقد الروائي وبهذا يتم عرض النص عن طريق وسيط وضمن منظور معين او بالاحرى من وجهة نظر معينة ويقوم الراوي بالتعبير عن هذا النص وقد اطلق جرار جنيت على هذه الواسطة التي يتم عرض النص عن طريقها بـ (التبئير)^(١) وعلى ضوء هذه الرؤية قد تكون الموارد متشابهة الا ان منطقة التبئير تختلف ويمكن ان نلاحظ هذه القضية بشكل واضح في القصص القرآني كتكرار قصص موسى في القرآن مثلاً ، اذ ان منطقة التبئير هي مرتكز الحدث ، اختلاف مرتكز التبئير يغير النص وبالتالي يمكن ان نقول انه بالرغم من وحدة اللفظ الا ان النص تغير من مكان الى مكان اخر اذ ان التفعيل الاجتماعي للنص يؤدي الى تغير وضع النص ، وكذلك التركيز على منطقة التبئير ومن كل ما سبق نستطيع القول (ان التناص ظاهرة انسانية ولدت مع آدم ولن تنتهي الا بفناء الوجود ، فهي حوار مستمر بين الانا وبين الاخر ، باشكال مختلفة وطرائق متباينة تخضع لسلطة التراث وذوق العصر ، ودينامية العصر الذي تنتمي اليه)^(٢) وهذا ما سلكه الامام في خطابه اذ عمل على (اثاره القيم الانسانية المرتبطة بالمجتمعات وسعادتها)^(٣) وقد تميز بطريقة فنية عالية في طريقة العرض وجودة الاسلوب كما تميز بالحكمة وخصوبة الخيال

(١) بنية النص السردي من منظور النقد الادبي ، حميد الحميداني ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٩١

(٢) التناص دراسة في الخطاب النقدي العربي ، سعد ابراهيم عبد المجيد ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠١٠ ، ص ٨٩

(٣) ملامح من عبقرية الامام : ٢٣

الذي استطاع من خلاله ان يحقق اعلى نسبة من التحول او الانحرافات النصية التي تمنح اللغة طاقة اضافية تبعث على الادهاش فلا غرابة في ذلك اذ ان الامام (ع) (تلميذ للقرآن الكريم يستوحيه في عرفان اسلامه ، وتقرر ايمانه فكانت نظرتة الى الخلق والخالق نظرة قرآنية يبتكر ما شاء ابتكار التلميذ عن الاستاذ)^(١) اذ كان القرآن الكريم في مستوى فني بلغ اعلى مراحل وابدع صورة الامر الذي تأثر به الامام (ع) كثيراً في تعبيراته ففي قوله (ع) (فاقبلتم عليّ اقبال العوذ المطافيل على اولادها)^(٢) فقد استعار الامام (ع) من واقعه ما يجسد حالته النفسية وفي عادة العرب ان يستعبروا من بيئتهم صورهم وتشبيهاتهم مناسبين ومقاربين بين المشبه والمشبه به ، اذ شبه شوق الناس لبيعتة بابل عطاش معها أطفالها وهي قريبة العهد بالنتاج ، كيف تقبل على اولادها وهو نظير قوله في سابقه (فتداكو عليّ تذاك الإبل الهيم يوم ورودها قد أرسلها راعيها وضلعت مثنائها)^(٣) وهنا شبه الناس بابل عطاش مخلاة السراب ، مطلقة العنان يوم سقيها كيف ترد الماء.

وهنا تظهر القدرات الفنية عند الإمام (ع) باستخدام الصورة ، والذي حاول من خلالها ان يعبر عن علاقة الظاهرة الأدبية بالواقع التاريخي والظرف السياسي الذي عاشه الإمام وقد كان الإمام بارعاً في صنع الصورة والتشبيهات وقد جاء راصداً للحوادث التاريخية وتبدت فاعلية التناص الذاتي هنا معبرة أدق تعبير عن مغزى عميق ودلالة واسعة استطاع تعرية الواقع وفضح أساليب الجماعة المحيطة به وما ألوا إليه من ضعف وتشرذم وانهزام. وكان هدفه من ذلك (ع) التأثير في الوعي الاجتماعي ، اذ ان (وعي المجتمع بهومومه بداية فعل التغيير وعتبة النهوض التي يستغلها كل مبدع)^(٤) وقد كان استخدام الامام للتشبيه استخداماً مبدعاً بدل على قدرة عالية للنفاز الى حقيقة الاشياء ، وقد كانت المقومات التناصية تشير الى ان النصين متناصان في اغلب الوجوه ، اذ اكد النص الثاني مقصدية النص الاول وقد جاءت صور الامام لتجسد البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الانسان في ذلك الوقت متمثلة بحيواناتها البرية ونلاحظ ان الجمال في نص الامام

(١) عبقرية الامام علي : ٤٢

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٨٧/٩

(٣) المصدر نفسه

(٤) الحدائثة في الشعر اليمني المعاصر : عبد المجيد سيف احمد الحسامي ، اجمهورية اليمنية ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ، (د.ط) ، ٢٠٠٤ ، ص ١٤٤

يبير وجوده بشكل لافت للنظر ففي قوله (ع) (انك لم تعرف الحق فتعرف من اتاه ولم تعرف الباطل فتعرف من اتاه)^(١).

ان هذا القول من الامام كانت تحتية ضرورة تاريخية اذ انه عاش في ظروف حتمت عليه ان يقول مثل هذا القول بسبب الظروف السياسية المحيطة بالامام التي اختلفت فيها الامور على بسطاء الناس وقد وصف كلامه بانها في غاية النفاسة وهو يتناص مع قوله (ع) (لا تنظروا ال من قال وانظروا الى ما قال)^(٢) اذ ان الناس في ذلك الوقت يجعلون الرجال ميزان الحق والباطل والواقع ان العكس هو الصحيح ما دعا الامام الى ان يؤكد على هذا الامر ، ولعل في قوله (ع) الاخير فيه معنى عزل الادب عن منشئه وهذا الرأي الذي قالت به البيهقي موت المؤلف وبالتالي فان الامام يكون قد سبق اصحاب هذه النظرية فما قالوه. لقد حاول الامام من خلال هذا الخطاب ان يعبر عن مكونات نفسه وموجات انفعالاته العاطفية تجاه ما يحدث في هذا الواقع ، وان ملفوظه (ع) الثاني يتواشج دلاليًا مع الملفوظ السابق ويؤازر دلالية ويدعم فكرته ويكشف عن تناص مضموني بين النصين وقد كانت منطقة التبر في النص قضية الحق ما يتعلق به وكيفية الوصول اليه وقد كرر الامام القول لظروف موضوعية حتمت هذا التكرار وهنا نلاحظ السر في تعالي نص الامام بسبب طاقة النص الايحائية لما توفر من سمات ادبية جعلته مدار الحسن والتميز الادبي.

لقد حاول (ع) تنشيط الذاكرة القرائية اذ (تعد المخزن الذي تجتمع فيه المعارف الذاتية كافة وهي الوثيقة التي تسجل التجارب التي تمر بها حياة الفرد وهي تؤثر عليه في السلوك والاقوال)^(٣).

والامام يرسم بالتناص السابق صورة تعبر عن طابع المعاناة الحقيقية التي كان يعيشها (ع) مع المجتمع ، فضلاً عن ذلك نلاحظ انه (ع) كان واعياً لدور النصوص في عملية صياغة وانتاج دلالة التناص الذاتي لديه ظل شعاعه الابداعي والخيال وهاجاً ومتميزاً. بما ادخله من انماط التصرف والابداع الفني والجمالي من هذا نقول ان التناص (ظاهرة عامة تحكم مجمل البنية

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٤٣٥/٩

(٢) المصدر نفسه : ٤٣٥/٩

(٣) التناص في شعر العصر الاموي : ٢٣٩

الثقافية للخطاب الانساني (١) وهذا ما تجلى بشكل واضح عند الامام (ع) ففي قوله (الذليل والله من نصرتموه ، ومن رمى بكم فقد رمى فوق ناهل) (٢) هو نظير قوله (ع) (المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الاخير ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل) (٣) تكشف القراءة المتأنية للنص عن وجود (التناص الاقتباس الجزئي الذي يقوم على اقتباس بعض المفردات او الكلمات او اشباه الجمل او الجمل غير التامة) لان اي نص او جزء من النص لهو دائم التعرض للنقل الى سياق اخر ، في زمن اخر ، فكل نص ادبي هو خلاصة تاليف لعدد من الكلمات ، والكلمات هذه سابقة للنص في وجودها كما انها قابلة للانتقال الى نص اخر وهي بهذا كله تحمل معها تاريخها القديم والمكتسب (٤).

ان الامام (ع) حاول ان يعيد بعض الملفوظات من النص السابق ليعبر عن ابعاد عناها واهداف توجه اليها ليعمق دلالاته في نصه بما يخدم فكرته التي يسعى لها من اجل رسم الصورة الحقيقية للمعنى في ذهن المتلقي وقد كشف طلائع النص عن اعلى درجات الاستياء عند الامام والنص يرتكز على هذه القاعدة في استثمار هندسته بين الانا والاخر. بدا كل ذلك من خلال ملمح الاسلوب الذي يقود الى ان يكشف عن مغزاه وهنا تتبدى مضنة الابداع وميدان الاقتدار عند الامام (ع) ، واللافت للانتباه ان العلاقة ما بين النصين متوافقة ومتشابهة في دلالتها على مضمون واحد وقد تجلت فاعلية التناص بقبول النص الغائب واعادة بناءه بسياق لغوي جديد متكاملاً في ذلك على عنصر الاتفاق والتطابق اما قول الامام (ع) (انفرجتم عن ابي طالب انفراج المرأة عن قبلها) (٥) فهو هنا (ع) في معرض الذم لاصحابه وقريب منه قوله (ع) (وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج الرأس) (٦) ان ملفوظ الامام هذا يحيل الى قوله السابق وقد تحقق بين النصين تناص كلمة (انفراج) ان هذه النصوص جاءت تعبير عن الذات المنتجة وقد كان استخدام الامام للتشبيه استخداماً مبدعاً للغة

(١) الاتجاهات الشعرية الحديثة ، يوسف محمد جابر ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ١٦٦

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٤٣٧/١٠

(٣) المصدر نفسه : ٣٢٨/١٠

(٤) الخطيئة والتكفير من النبوية الى التشريحية للنظرية والتطبيق ، عبدالله الغدامي ، المركز القومي الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب العربي ، ط ٦ ، ٢٠٠٦ ، ص ٥٢ - ٥٣

(٥) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٤٥٠/١٠

(٦) المصدر نفسه

يزود المتلقي بقدرة عالية للنفاز الى حقيقة الاشياء ، ومن خلال فحص شبكة الصور الفنية في نصه (ع) نلاحظ ابتداءً من الناحية البيانية سيادة اللون التشبيهي على ما عداه من الوجوه في التناصات التي تناولناها آنفاً ومع ما نلاحظه على نسيج النص من انه (ع) لم يقصد الى الاهتمام بالصفة البيانية والزخرفة اللفظية لكن همّة الشاغل (ع) هو اداء معانيه ما امكنه الى ذلك سبيلاً ما جعله يكرر عناصر لغوية تتكرر بشكل لا شعوري لتؤدي في النهاية الى تقوية السياق استجابة لحاجة النفس والوجدان باذلاً في سبيل ذلك جهداً ذهنياً وتأملاً فكرياً ، فالنص حقل لانتاج الدلالات ومركز يطرح بشحنات شعورية وبوتقة لخلفيات فكرية وفلسفية معاً بحثاً عن معنى يبغى المرسل ايصاله الى المتلقي (فالنص الابداعي الحقيقي هو الذي يتمثل في بنائه النصوص السابقة عليه وتجاوزها طارحاً قوانينه الخاصة التي يعاد توظيف النصوص القديمة من خلالها)^(١) سواء اكان توظيفها قصدياً ام عفويّاً ، ففي قوله (ع) (في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال)^(٢) فيلاحظ انه (ع) يتناص مع قوله السابق (الولايات مضامير الرجل)^(٣) ويقصد به (ان الناس لا تعرف الا من خلال وضعها على محك التجارب كأن يعطي سلطة او ما شابه ذلك من الامور التي تكشف عن دواخل الانسان)^(٤) هذا وقد خالف التستري ابن ابي الحديد فقال (والمراد منه ان في بعض الناس غرائز كامنة لا تظهر الا بالحوادث المتجددة والاحوال المختلفة)^(٥) وقد جاءت الحمولة المعرفية للنصين لتعبر عن التجربة الانسانية الشاملة ، وتبدى ذلك من خلال المعاني التي يحتويها مضمون النصين هذا وقد تحقق بين النصين التناص المضموني ومن ثم فان نصوص الامام (ع) (تهدف الى غايات محددة سلفاً يتقصدها)^(٦) وهذا ما تكشف عنه مخزونات المعاني التي يحتوي كلها مضمون النص (وتلك ميزة نادرة ينفرد بها علي (ع) بصورة ملموسة ... وهو دليل على الفعالية الخارقة لعقل مبدع موهوب)^(٧) وهذا ملمح اسلوبي واضح نجده على طول

(١) اشكاليات القراءة واليات التاويل ، نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط ٤ ،

١٩٩٦ ، ص ٢٧٥

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣١٨/١٤

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه : ٣١٨/١٤

(٦) استقبال النص عند العرب ، د. محمد رضا مبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ،

١٩٩٩ ، ص ١١٣

(٧) علي سلطة الحق : ٢٩١

النهج ففي قوله (ع) (العفو زكاة الظفر)^(١) النص هنا يؤكد على قيمة اخلاقية عالية وقد تميز بالتكثيف العالي والايجاز ، وهو هنا (ع) يقدم خلاصة مركزة لقانون حياتي وهذا من طبيعة النصوص الادبية الابداعية التي تسعى الى خدمة الاغراض والقيم الانسانية النبيلة وبسبب ذلك (يتفاوت الكتاب في مستويات الابداع ، وتبعاً لذلك تتفاوت النصوص فيما تملكه من طاقة تعبيرية ومن جمالية اسلوبية)^(٢) فالنص السابق للامام (ع) حقق تناصاً ذاتياً مع قوله (ع) (اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه)^(٣) وقد تحقق بين النصين التناص الذاتي المضموني وقد جاء المعنى مكثفاً وفي نهاية الايجاز ، فقد حمل نصه (ع) ثراءً ثقافياً واسعاً وقيمة ابداعية متميزة ذلك ما ادى الى (تكثيف المعطى الفني والتعبير بدقة لغوية مركزة عما كان مضطراً الى شرحه والاسهاب فيه)^(٤) هذا وانمازت تعابير الامام (ع) السابقة بقلة كلماتها (مما يجعل قيمتها الجمالية تزداد حسناً ؛ لان الشيء اذا عَزَّ صار اداة ووسيلة لاحداث المفاجأة في نفس المتقبل)^(٥) وبهذا يتنوع التعبير وتتنامى فنونه وتتصاعد مستوياته الابداعية حسب اختلاف القدرة على التذوق والتميز ويبدو ذلك واضحاً من خلال الاستخدام المميز والفني للغة من بنية النص والعبارة في حكمة للامام تميزت بالتكثيف الدلالي الكبير تشير الى قيمة اخلاقية ومنها نلاحظ دقة استخدام اللفظ ، وذلك يدل على الجهد الصياغي المبذول بغية الوصول الى كمال التعبير فقول الامام (أكبر العيب ان يعيب ما فيك مثله)^(٦) البعد الغائي عند الامام هو الذي دعاه الى ان يعيد القول بصياغة اخرى محققاً بذلك التناص الاشاري مع القول السابق اذ يقول (من نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه)^(٧) وهذا يمثل مجهوداً فكرياً ونفسياً كبيراً من قبل الامام (ع) وهو بهذا يؤكد على علاقة النصوص بمجمل الحياة واستطاع بذلك ان يلامس فكر المتلقي ووجدانه ، فضلاً عن البلاغة العالية في جمل وعبارات النص مما يفضي الى وفرة المعاني التي تضيف للحياة مضامين اخلاقية وانسانية متفردة اذ نجد الامام في تناصاته السابقة (يضيف الى المعنى المضمن شذرات التحويرية تتسق مع الحالة والسياق الجديد

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٥٥/١

(٢) علي سلطة الحق : ٢٩٣

(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٥٥/١٤

(٤) لغة الشعر ، رجاء عيد ، منشأة المعارف في الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص٢٦

(٥) اصول الشعرية العربية نظرية ، حازم القرطاجين ، في تأصيل الخطاب الشعري الطاهر بو فريز ، الدار البيضاء للعلوم ، ناشرون منشورات الاختلاف ، ص١٧١

(٦) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٤٢٣/٤

(٧) المصدر نفسه

فيما يشبه تنويعات على الفكرة الاولى) (١) في بنيات النصوص وآلياتها الاسلوبية بمزيد من الايجاز والتكثيف الدلالي ان خصائص نص الكتابة عند الامام يجسد الذات الحوارية التي يصير فيها النص تجسيدا لهذه الذات التي تشمل الانا الذي يفتح على الآخر ، اذ كان همّ الامام الانشغال بالقضايا الانسانية الكبرى وهذا يجعل من نهج البلاغة مصدراً لتنوع المعرفة (فالنص في نهج البلاغة ليس قطعة بلاغية ذات جمال مجرد بل هو وظيفة متقنة ، انه ثمرة التزاوج الطبيعي بين البلاغة والافكار والذي ترتب عليه انجاب افكار جديدة واستخدامات لغوية وبيانية جديدة) (٢) وفي هذا تتمظهر سمات الخطاب البليغ ، وكذلك تتجلى اللغة المناسبة مع مراعاة العلامات القائمة مع مفردات النسيج اللغوي للادب العلوي ، هذا الجهد الثقافي يشكل الارضية التنظيرية لاسس الجمال الادبي ، وبذلك تتبدى المهارات الفنية في مباني الاسلوب لدى الامام (ع) ففي قوله : (من لان عوده كثفت اغصانه) (٣) نلاحظ على النص الجهد الصياغي الفني الذي تكشف عنه دلالات الالفاظ والقوة الايحائية التي تمتلكها من اشعاع المعنى المؤثر ولعل ذلك راجع الى البعد الرسالي الذي ينهض به المتن الادبي للامام اذ ان ادبية نص الامام مسلمة لابدال فيها (ومن ذكاء علي المفرد في نهجه انه نوع البحث والوصف فاحكم في كل موضوع ، ولم يقصد جهده العقلي على ناحية واحدة من الموضوعات او من طرق البحث ، فهو يتحدث بمنطق الحكيم الخبير عن احوال الدنيا وشؤون الناس ، وطبائع الافراد والجماعات ... ويضع للمجتمع دساتير وللاخلاق قوانين) (٤) لعل من المصاديق على ذلك قوله (ع) الذي كرره باسلوب جديد (ومن تلت حاشيته يستمد من قومه المودة) (٥) فالامام في هذا القول يضع قانوناً اخلاقياً ودستوراً للحياة بموجبه تستقيم العلاقات بين الافراد الجماعات فقد (التمس الامام علي (ع) المعرفة في حكمياته التماس الحكيم العارف ... المشخص للداء والعارف للدواء) (٦) ففي قوله السابق ايجاز في اللفظ واطناب في المعنى وقد تحقق بين النصين ما يسمى بالتناسل الاسلوبي (ولعل الوظيفة الفنية التي يحققها ... تكمن في محاولة نقل المتلقي الى اجواء النص المستحضر كلية بحيث يشعر المتلقي وكأنه امام هذا النص مباشرة ، من دون ان يكون هناك وسيط بينهما كما يسعى التناسل الاسلوبي الى

(١) لغة الشعر : رجاء عيد : ٢٦

(٢) علي سلطة الحق : ٢٨٦

(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٢١/١٤

(٤) الامام علي صوت العدالة الانسانية : ٢٨٥

(٥) ملامح من عبقرية الامام : ١٨

(٦) ملامح من عبقرية الامام : ١٨

الاستفادة من اللغة الحرية العميقة التي بها بعض النصوص^(١). وهو في اقواله السابقة يتطلع الى غاية اخلاقية وفي هذا تعبير عن ارتباط الظاهرة الادبية بالواقع الاجتماعي ومع عدم اغفال الوظيفة الادبية والمواصفات الجمالية.

ان اللغة شكلت عنصراً مميزاً ذا اثر من خلال عملية التناص واسهمت اسهاماً ملحوظاً في مجال الابداع الدلالي والمضمون لرسم الصورة الصادقة للمعنى المراد الوصول اليه.

ومن نماذج التناص الذاتي التي رصدها الشراح عند الامام ، التناص مع الشعر المنسوب للامام علي وهو عبارة عن حكم منظومة ، على الرغم مما يبدو من خلاف بين الباحثين والمحققين حول صحة نسبتها للامام علي (ع) وكل ذلك فهذه التناصات تكشف عن البعد الغائي عند الامام اي المهمة الرسالية وهذا ما دعا الامام ان يكرر بعض الخطابات في ظروف مختلفة وهو بذلك متأثر بالقرآن اذ ان مهمة القرآن رسالية وكذلك الامام في منهجه ولعل من الامثلة على ذلك قوله (ع) (اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع)^(٢) الامام (ع) في هذا النص يشير الى حتمية انتهاء امر الدنيا ولا بقاء الا لوجهه تعالى وقد تحقق التناص الاسلوبي لهذا النص مع الشعر المنسوب اليه (ع) الذي يقول فيه :

رأيت الدهر مختلف يدور فلا حزن يوم ولا سرور
وقد بنت الملوك به قصوراً فلا بقي الملوك ولا
القصور^(٣)

نلاحظ الامام خلق نوعاً من التوافق والانسجام بين المبنى والمعنى في نصيه السابقين. ان للتناص اثره الدلالي وطاقته الابداعية ويشير المستوى التركيبي للتناص السابق الى انه توظيف بارع وقدرة فائقة في التحام نص نهج البلاغة مع النص الشعري في علاقات منسجمة من غير بعد عن الجمال الفني وهذا المعنى المتعارف عليه لا احد يجهله اذ ان الامام (ع) (كان يمتاز بدقة السبك وحسن الاسلوب واحكام الصنعة وسهولة اللفظ ، وجزالة المعنى وبساطة التعبير والاحاطة

(١) التناص في شعر البياتي : ٢١٦

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٧/٣

(٣) المصدر نفسه

بالقصد^(١) وتجب الإشارة هنا الى عبقرية الامام (ع) وبراعة نظمه في اختيار البنى اللفظية ، فالالفاظ عنده ذات سمة وشان عظيمين يوظف اللغة توظيفاً فنياً ليفصح عما يموج بخاطره ومكونه ، لذا جاء نصه يحمل ابعاداً عالية وينطوي على معانٍ داخلية وهذه ظاهرة اسلوبية تكررت كثيراً حتى صارت سمة من سمات النص العلوي والملاحظ على الامام في تناصاته الذاتية انه يقوم بتفكيك بنيته اللغوية ويعيد تشكيلها في بناء جديد ، ففي قوله (ع) (وان عليّ جنة خصبة ، فاذا جاء يومي انفرجت عني واسلمتني لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم)^(٢) فهذا القول حقق تناصاً ذاتياً مع الشعر المنسوب له في ديوانه الذي يقول :

من اي يومي من الموت افر أيوم لم يقدر ام يوم قدر
فيوم لا يقدر لا ارهبه ويوم قد قدر لا يفي الحذر^(٣)

وهنا يظهر التناص الامتصاصي الذي هو عبارة عن صياغة مختلفة لمضمون واحد اذ امتص النص اللاحق افكار واء ومعان النص السابق وعبر عنها ، فكانت المقاربة بين النصين كبيرة اذ ان كل نص ما هو (الا امتصاص وتشرب لوفرة من النصوص الاخرى)^(٤) التي تتميز بالصدق وعمق الفكرة وفنية التعبير وفي التناص الذاتي عند الامام (ع) تصبح كل صورة ملتقى افكار متجانسة اذ اننا امام فعل ذاتي ينماز بالترقي العقلي والعمق في التفكير هذا الذي منح الامام (ع) اصالته وذاتيته وفرديته ما جعل النص يبدو بناءً عفويًا لا ينفصل فيه المعنى عن اللفظ بل هما كيان عضوي واحد ، وهذا ما يتجسد في التحول العميق في البنى الفكرية والثقافية والبلاغية عند الامام وتفردته عن معاصريه من خلال عباراته المميزة اسلوبياً وفكرياً اذ مثل نتاجه ارقى مظهر فكري ففي قوله (ع) (الا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها)^(٥) جسد الامام في خطابه ما يحقق التواصل بين الناس في نشاطهم المعاشي والحضاري ، وطرح ما يتعلق بهذين الامرين ، اذ كان (ع) محيطاً بالمشكلات الكبرى ، ويتبين من النص اعلاه انه ملتزم بمصلحة الجماعة اذ كانت قضية ما بعد الموت تشكل الميادين الحقيقية للتفكير لدى الانسانية جمعاء وهذا

(١) ملامح عبقرية الامام : ١١٤

(٢) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٨٧/٥

(٣) المصدر نفسه

(٤) المدخل اللغوي في نقد الشعر ، مصطفى السعدي ، دار المعارف الاسكندرية ، (د.ت) ، ص ٢٨

(٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ١٣٩/١٠

جانب من البعد الرسالي الذي يتغياه الامام في خطابه لذا جاء التناص الامتصاصي للقول السابق واضحاً في الشعر المنسوب له الذي يقول فيه :

ارى الدنيا شؤون باطلاق مشمرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقيـــــة لحي ولا حي على الدنيا بباقي^(١)

اذ نلاحظ الحضور المشرف لنص الامام السابق في الشعر المنسوب له وبهذا يتشابه النسان في الموقف الدلالي اذ تتوقف فاعلية التناص على قابلية منتج النص في استخلاص العبرة واستدعاء المدلولات المؤثرة في ذات المتلقي والمحفزة لمشاعره ، وليس التوقف عند حدود جمع النصوص ، ولعل اوضح المصاديق على ذلك تناصات الامام السابقة ، فقد جاءت تناصاته عليه السلام ذات نظام تركيبى يقع على عاتقه عبء انتاج المعنى وتكثيف الدلالة لتوليد طاقات هائلة وايجاد شحنات ايحائية عظيمة وامكانات لغوية مذهشة اذ (ان اساس الخطاب في فعاليتيه على ابن ابي طالب ، من الناحية اللغوية ، هو اساس نحوي ، ذلك لان علياً ابن ابي طالب هو واضع النحو العربي في منطقه الاول)^(٢) وبذا استطاع الامام ان يبيلور مبادئ فكرية بهدف تأسيس بنية ثقافية اسلامية تقود التحول الفكري العميق الذي تحشد في الثورة الفكرية الكبرى - الاسلام الحنيف - وبذلك كانت الرؤية الفنية والزخم الفكري والتجربة اللغوية عند الامام قد استمدت حضورها من خلال ما كان يدعو اليه الامام من خطاب مؤثر استطاع من خلاله ان يوجه المتلقي نحو فعل انجازي معين ، وذلك في حدود نظام لغوي خاص يكشف عن تفردده وعن حسن تمكنه من ناحية اللغة وتطويعها من اجل تحقيق اهدافه الرسالية.

التناص الادبي مع نهج البلاغة

التناص الادبي (هو تداخل نصوص مختارة قديمة او حديثة شعراً او نثراً بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الاماكن على الفكرة التي يطرحها المنشئ)^(٣) سواء اكان شاعراً ام ناثراً فيما يتعلق بالتناص الادبي مع نهج البلاغة ، معلوم ما لنهج البلاغة من اثر في الادب العربي بوصفه اول نتاج متأثر باساليب التعبير القرآني وبالتالي هو الميسر للفهم الواعي لاساليب التعبير القرآني

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ١٣٩/١٠

(٢) علي سلطة الحق : ٢٩١

(٣) شربل داغر : التناص سبلاً الى دراسة النص الشعري ، مجلة فصول الهيئة المصرية العام الكتاب ، المجلد ١٦ ، العدد الاول ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ١٢٧

ومن هنا وجدنا اهتمام الادباء والشعراء بالقرآن الكريم ومن هنا جاءت (الدعوات المنادية بضرورة ان يلم الاديب او الشاعر بمختلف الثقافات الموجودة في التراث الانساني قديمه وحديثه شرقيه وغربيه من دون تفضل لاحد هذه الثقافات)^(١) ولعل نهج البلاغة من اولى المصادر التراثية التي حظيت باهتمام الادباء والدارسين على مر الاجيال وذلك ما اشار اليه الشريف الرضي بقوله (كان امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه اخذت قوانينها ، وعلى امثلته هذا كل قائل خطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وتقدموا وتأخروا ...)^(٢) بعد هذا الاقرار فلا غرابة ان نجد كثيراً من الشعراء والخطباء ينهلون من صور وصياغات ومعاني نهج البلاغة.

ذلك في محاولة منهم لابرار المقدره على انتاج ادب يضاهي ادب الفحول شكلاً ومضموناً ولعل من صور التناس مع نهج البلاغة التي اشار اليها الشراح محل الدراسة.

١- التناس النثري

لقد كان الامام عليه السلام (اول من عالج فن الخطابة معالجة الاديب واول من اضى عليها صيغة الانشاء الذي يقتدى به في الاساليب)^(٣) لهذا اشترأت اليه الانظار وحاول كل اديب ان ينسج على منوال خطابه ففي قول الامام عليه السلام (لكني أسفت اذ اسفوا ، وطرت اذا طاروا)^(٤) فهذا قول يتناس مع قول ابن عباس لما قيل له (ما منع عليك ان يبعثك مكان ابي موسى ، فقال ابن عباس منعه من ذلك حائل القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء اما والله لو بعثني مكانه لاعترضت مدارج نفسه ناقضاً لما ابرم ومبرماً لما تقض ، اسف اذا طار وأطيرُ اذا اسفَ ولكن مضى قدر وبقي أسف)^(٥) وقد تحققت بين النصين نوع من التناس يسمى التخطيط المقابل وهو ان يقوم نص (على قلب القمة الجدلية في عمل من الاعمال الادبية

(١) ينظر : عز الدين اسماعيل للشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت) ، ص ٣٨

(٢) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٤٥/١

(٣) عبقرية الامام علي : العقاد : ١٨٨

(٤) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ١٢٦/٥

(٥) المصدر نفسه

الموجودة الى عكسها) (١) كما يقوم النص المتناص باظهار القصدية التي بوساطتها يظهر الضد وبذلك (فهي تنتقل سمات النص التي تخير القارئ الذي عليه ان يتبيناه اتجاهها) (٢).

ونلاحظ ان نوع العلاقة بين النصين قائم على قانون المخالفة اي اختلاف نتائج المقصدية بين النصين فاذا ما جننا الى قول الامام عليه السلام (لوددت والله ان معاوية صارفي بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم واعطاني رجلاً منهم) (٣) (قال ابن ابي الحديد اخذ الزبير لفظة عليه السلام فلما وفد اهل البصرة وفيهم الاحنف تكلم منهم ابو حاضرا الاسدي وكان خطيباً جميلاً فقال ابن الزبير : اسكت ، فوالله لوددت ان لي بكل عشرة منكم اهل العراق واحداً من اهل الشام ، صرف الدينار بالدرهم) (٤) .

ان الآلية التناصية التي تربط بين النصين هنا هي طريقة التجاور والتشابه ويعني بها (مسايرة نص لنص خرا او مشابهة بشكل قصدي او عفوي ، شريطة ان لا تقع تلك المسايرة او المشابهة في ظل احكام وقوانين توجيهية للنص ... ويلعب الفضاء الزمكاني دوراً كبيراً في انتشار هذه الطريقة فالعناصر المتجاورة والمتشابهة في نصوص كل عصر تجعل هذا النص ينتمس الى ذلك العصر) (٥) ونلاحظ على النصين اعلاه وجود اتحاد في الفكرة بين النصين فكل من الامام عليه السلام والزبير يشيران الى فكرة واحدة هي تخاذل الجماعة المحيطة بهما مقابل اقدام وبسالة الجهة المعارضة او الخصوم ما دفعهم الى اظهار التذمر والاستياء من هذا الواقع المعيش وان قول الامام عليه السلام قد استقر في ذاكرة الزبير وكون لديه مرجعية ثقافية شكلت جزءاً من بنيته الثقافية.

اذ (ان كل كلمة اياً كانت توقظ دائماً في الذهن صورة) (٦) من هنا كان التناص وليد التراكمات الثقافية لدى الانسان وبالتالي فان من اهم الدواعي التي اسهمت في ارساء قواعد التناص الادبي هي الخلفية الثقافية عندها يصبح كل نص ادبي مشروع معرفي يحتوي على خزان كبير للدلالات

(١) التأثير والتقليد : اولرشيدي فايد هنتاين ، ترجمة : مصطفى ماهر ، مجلد فصول ، العدد ٣ لسنة ١٩٩٣ ، ص ٢١

(٢) اللغة في الادب الحديث : جاكوي كورك ، ترجمة : ليون يوسف وعزيز عمانوئيل ، بغداد ، ١٩٩٩ ، دار المأمون ، ص ٢٤

(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٤٤٨/١٠

(٤) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٧٥/٧

(٥) التناص في شعر العصر الاموي : ٧٩

(٦) جورج منذر يس في اللغة ترجمة : عبد الحميد الدواخلي و د. محمد الفصاح ، مكتبة الانجلو القاهرة ، ١٣٧٠ هـ ، ١٩٥٠ م ، ص ٢٣٧

او هو رسالة معرفية تواصلية ، ففي قول الامام عليه السلام (اطرح عنك واردات العموم بحسن الصبر وكرم العزاء)^(١) وصفه المعتزلي بقوله (هذا كلام شريف فصيح عظيم النفع والفائدة)^(٢) فكلام بهذا الوصف جدير بان يتسابق الناس للنسج على غراره وهذا ما فعله عبدالله بن الزبير اذ اخذ بعض الفاظ قول الامام عليه السلام السابق فقال في خطبة لما ورد عليه خبر مقتل مصعب اخيه (لقد جاءنا من العراق خبر احزننا وسرنا ، جاءنا خبر قتل مصعب ، فاما سرورنا فلان ذلك كان له شهادة ، وكان لنا ان شاء الله خيرُهُ ، واما الحزن فلوعة يحدها الحميم عند فراق حميمه ، ثم يدعو بعدها ذو الرأي الى حسن الصبر وكرم العزاء)^(٣) هذا وقد تحقق بين النصين التناص الاقتباسي الجزعي من خلال اقتباس جملة (حسن الصبر وكرم العزاء) ذلك (ان تعبير الانسان بواسطة الكلام يتراوح في مضمونه بين مدارين الرقة العاطفية الذاتية والاحاسيس الاجتماعية وهما مداران متصارعان دوماً لان الاحساس كثيراً ما تجذب نسبة التدفق الوجداني وكل مدار يتوق الى الاستبداد بشحن الفكرة المعبر عنها فيؤول الامر الى ضرب من التوازن)^(٤) هذا الامر يكشف عن طاقة تعبيرية للغة وعن وسيلة ابداعية ومضامين فكرته تقدم حلولاً لرؤية مستقبلية ، وذلك ماعالجه الامام في نصوصه الابداعية متمثلاً في فكره الاصلاحى وكان عليه السلام في ذلك (يصدر عن رؤية كونية شاملة محاورها ثلاثة موضوعات لا انفصال بينها هي الله والعالم والانسان)^(٥) هذه الشحنة المعرفية تعطي للنص خصوصته البلاغية والاقناعية ففي قول الامام عليه السلام (وكل متوقع ات وكل آت عما قريب دان)^(٦) ان البنية الدلالية لهذا النص تستمد حضورها من الخطاب الموجه نحو الاخر لذلك حاول قيس بن ساعدة الايادي استثمار الحمولة المعرفية للنص العلوي في سبيل تمرير رسالته وقد تحقق التناص الاسلوبي بين النصين قال قيس بن ساعدة (مالي ارى الناس يذهبون ثم لا يرجعون ارضوا فاقاموا ثم تركوا فناموا ؟ اقسام قيس قسماً ان في السماء لخبراً وان في الارض لعبراً ، سقف مرفوع ومعاد موضوع ، ونجوم تمور ، وبحار لا تغور ، اسمعوا ايها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات ،

(١) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٢٨٢/١٦

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه : ٢٨٢/١٦

(٤) الاسلوبية والنقد الادبي ، عبد السلام المسدى ، مجلة الثقافة الادبية ، العدد ١ ، ربيع ، ١٩٨٢ ، ص ٣٥

(٥) المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، زكي نجيب محمود ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت (د.ت) ، ص ٣١

(٦) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٢٢/١١

وكل ماهو آت آت) (١) اذ كانت الحصيلة المعرفية للنص الثاني تدور في فلك النص الاول ذلك (ان معرفتنا مخزنة في الذاكرة على شكل بنيات معطيات ممثلة في اوضاع متكررة نستقي منها عند الاحتياج تتلائم مع الاوضاع الجديدة التي تواجهنا وعملية الموائمة تتم بواسطة مقول جديد يعتمد على اطار ويستقي منه) (٢) ان هذه التناصت تكشف عن اعجاب شديد وانفعل حاد بلغة نهج البلاغة ومضامينه الفكرية العالية ، لذا جاءت نتاجاتهم حاملة للكثير من الرؤى الروحية والفكرية والدلالية ولعل من المصاديق قول الامام عليه السلام (الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلاً واقبل منها ما كان مدبراً وازمع الترحال عباد الله الاخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الاخرة لا يفنى) (٣) اشتمل هذا النص على خصائص اسلوبية وجمالية تكشف عن تمكن الامام من ناحية اللغة وتطويعها لاجل تمرير رسالته الانسانية فقد (بسط الامام فلسفته في ايجاز عجيب ، وفي تسلسل منطقي بديع تلتقي فيه افعال العقل ، وافعال الاعضاء على صعيد التكامل) (٤) وبذلك استطاعت نصوص الامام ان تبني لها وجوداً فنياً متميزاً اذ اتصفت بمتانة السبك وفخامة الدلالة ، ما جعل سليمان بن سرد الخزاعي لما اراد الطلب بدم الحسين عليه السلام ان يقول (ان الدنيا دار قد ادبر منها ما كان معروفاً ، واقبل منها ما كان منكراً واصبحت قد تشنأت الى ذوي الالباب وازمع الترحال منها عباد الله الاخيار وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبة عند الله لا يفنى) (٥).

يبدو التناص الاقتباسي الجزئي واضحاً بين النصين اذ تم اقتباس بعض الجمل من نص الامام لما يحمله من مضامين وطاقة ايحائية تمنح العمل الادبي اصالة وخلوداً.

هذا وقال التستري (نظير كلامه عليه السلام كلام ابنة الحسين عليه السلام في خطبة اصحابه بذى حسم قام عليه السلام ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال لاصحابه : انه قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واستمر جذاء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمدعى الوبيل ، الا ترون ان الحق لا يعجل به ، وان الباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً ، فاني لارى الموت الا سعادة ، والحياة مع الظالمين الا

(١) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ١٠٧/٧

(٢) تحليل الخطاب الشعري ، محمد مفتاح ، ص ١٢٣

(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٢١٤/١

(٤) ملامح من عبقرية الامام : ٢٥

(٥) تاريخ الطبري : ٣٩٢/٣ ، نقلاً عن التستري : ٢١٤/١٠

برما^(١) وبالنظر للظروف الميطة بالنص الخطابي يبدو ان ما لاقاه الامام الحسين عليه السلام من ظلم وحقد لا تختلف كثيراً عما تعرض له ولاقاه الامام علي عليه السلام فنظر الامام الحسين الى الدنيا بعين ابيه وصورها بصورة فكان رافده في تصويره بالسرعة والفناء مظيفاً اليها خسة العيش ودناءته حين يكون في ايدي الظالمين اللئام وقد جاءت الالفاظ في سياق الخطاب ملائمة للمعنى ومعززة صورة فـ (الاختيار يضمن للاديب اللفظ المعبر عن المعنى الذي يريد ايصاله والمقعية تحقق له ان ينزل ذلك اللفظ المنزل الذي يعيشه على الاشعاع بكل ما يملؤه من ظلال وايحاءات ومعان هامشية)^(٢) هذا ما تحقق في خطابه الامام الحسين عليه السلام اذ نلحظ على النص تاثر واضح في خطاب الامام علي عليه السلام مستلهماً مضامينه موضعاً الفاظه غير مكثف بالاحالة اليه او الايحاء اليه ذلك ان (الكلمات ارواح تخزن في داخلها مشاعر واحاسيس وهي بفاعليتها مع غيرها داخل سياق لغوي قادر على منع بعضها دلالات وفاعليات خاصة)^(٣) من هان جاء اقبال الادباء والكتاب الشعراء على محاكاة خطاب الامام عليه السلام لما يمتلكه من طاقات ايحائية ومقصديات كبيرة (فقد نظر عبد الحميد كاتب مروان الى قول الامام عليه السلام الدنيا دار ممر لا دار مقر والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فابوقها ورجل ابتاع نفسه فاعتقها)^(٤) اذ استطاع ان يحقق التناسل الاسلوبي مع قول الامام عليه السلام فقال (الناس اصناف مختلفون واطوار متباينون ، منهم علق مظنه لا يباع ومنهم غل مظنه لا يبتاع)^(٥) فلما قيل له ما الذي منك من البلاغة فقال (حفظ كلام الاصلح)^(٦) لقد كانت النصوص التي اوردناها انفاً امثلة للتناسل الادبي مع نهج البلاغة من قبل كبار الادباء والكتاب ونجد تناسلاً اسلوبياً قد تحقق مع قول الامام عليه السلام (وعلى اثر الماضي ما يمضي الباقي)^(٧) اذ اخذ هذا اللفظ الوليد بن يزيد حين مات عمه مسلمة ، واجتمع بنو امية في جنازته فوقف على هشام وقال (ان عقبي من بقي لحوق من مضى ، وقد اقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فوهى ،

(١) الطبري : ٤٠٣/٥ ، نقلاً عن التستري : ٢١٥/١

(٢) فصول في اللغة والنقد : نعمة رحيم العزاوي ، المكتبة العصرية ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨٠

(٣) قضايا النقد الادبي والبلاغة : محمد زكي العسماوي ، دار الكاتب العربي ، مطبعة الوادي ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤١

(٤) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٤٢٥/١١

(٥) المصدر نفسه

(٦) الكتاب والوزراء : الجهشاري : ص ٨٢ ، نقلاً عن التستري : ٤٢٥/١١

(٧) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣١٩/١١

وارتج الطود فهوى ، وعلى اثر من سلف ما يمضي من خلف)^(١) ونجد مثل ذلك في قول الامام عليه السلام (وصار دين احدكم لعقة على لسانه)^(٢) اذ وصفهم الامام هنا بضعف الدين ووهن العقيدة وذلك ما تجلى في سلوكيتهم مع الامام ايام خلافته اذ لاقى ما لاقى من خذلان وعصيان ولعل ذلك ما اخبر عنه الفرزدق (عندما ساله الامام الحسين حين لقيه قادماً من العراق وساله عن الناس فقال فاما قلوبهم فمعك واما سيوفهم فعليك والدين لعقة على السننهم فاذا امتحنوا قل الديانون)^(٣) ومثله لما نزل الحسين كربلاء اقبل عليه اصحابه فقال : (الناس عبيد الدين والدين لعقة على السننهم يحوطونه مادرت معايشهم)^(٤) نجد ان التناص الذي تحقق بين النصوص الثلاثة هو التناص الاسلوبي اذ عبرت النصوص عن ضعف الدين وفساد المعتقد وذلك ما تحقق فعلاً وتحول الى سلوك عملي لدى الجماعة المحيطة بالامام علي عليه السلام وابنه الحسين.

لقد كنا فيما مضى نتحدث عن التناص النثري مع نهج البلاغة وقد لاحظنا ان النصوص الادبية ارتكزت على نص الامام وحاولت تفجير طاقاته الدلالية واختراق بؤرته المركزية من اجل اعادة تشكيله من جديد وهذا ما بدى جلياً في النصوص التي اوردناها للتناص والتي اشار اليها الشراح وكانت من مقصدياتهم المهمة في هذا المجال اذ انهم ارادوا بذلك ان يسيروا الى تعالي النص في نهج البلاغة وثرائه المضموني ما جعل الادباء يتسابقون للنسج على منواله من اجل تحقيق الادبية لنصوصهم بغية الوصول بها الى معاني النصوص عالية الابداع.

ومن التناصات الاخرى التي تتدرج تحت عنوان التناص النثري ما يمكن ان تسميه التناص الروائي اي الاحاديث المروية عن الائمة الاطهار عليهم السلام ولما كان الامام عليه السلام والائمة من ذريته هم ابناء مدرسة القرآن والسنة النبوية المطهرة فلا غرابة ان نجد هذه القرابة الادبية بين نصوصهم وهو من الملامح البارزة التي اشار اليها الشراح اذ لا يمكن اهمال دور الثقافة القرآنية التي نجد اصدق تمثيل لها في ثقافة الامام عليه السلام المتمثلة بنصه العلوي من هنا نجد الائمة عليهم السلام قد تأثروا بهذه الثقافة وفهموا مدلولاتها. لعل من الامثلة التطبيقية

(١) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٨١/٧

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٥٧/١١

(٣) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد : ٢٤٩/٧

(٤) تحف العقول : ٢٤٥ ، نقلاً عن التستري : ٣٥٧/١١

على التناص الروائي ما نجده عند الامام الكاظم عليه السلام انه (قال لهشام بن الحكم مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله)^(١) .

هذا القول الشريف يشير الى مذمة الحرص على الدنيا والامام في هذا يتناص مع مضمون قول الامام عليه السلام الذي يقول فيه (اما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئاً الا فتحت له حرصاً عليها)^(٢) وفي هذا القول الرائع يتحقق شرف المعنى الذي يكمن (في احراز المنفعة ومع مواجهة الحال)^(٣) والامام في هذا الحال يتطلع الى غاية اخلاقية وفي ذلك تعبير عن علاقة الظاهرة الادبية بالواقع الاجتماعي المعيش ما يدل على انفتاح الوعي عند الامام على إمكانات ادبية ، وهي ظاهرة نرى اثارها في كل مكان من النهج. ولما كانت حياة الامام غنية بتجارب انسانية كثيرة ذلك ما دفع الابداء الى محاكاة نصه والذي انماز بجميع القيم المعروفة في الصياغات الادبية فقولته عليه السلام (ولن يستفتي صاحبها بما نال فيها علما لم يبلغه منها)^(٤) اذ نجد في كلام الامام الانف الذكر قوة في سهولة ولعل هذا من ابداع ما قيل في هذا المعنى وفي معناه عليه السلام قال الامام الباقر عليه السلام (مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كان ابعدها من الخروج)^(٥) وقد تحقق بين النصين التناص الاسلوبي وقد تحقق في النصين البلاغة في النثر التي تعني (ان يكون اللفظ متناوياً والمعنى مشهوراً و... والمراد سليماً ... والامثلة خفيفة المأخذ)^(٦) وذلك ما بدا واضحاً في آية بناء النصوص عند الامامين عليهما السلام بشك يناسب مع معطيات المرحلة الزمنية وهو قول يكشف عن سلوكية للذات الفاعلة في الخطاب فاذا جئنا الى قول الامام عليه السلام (ان الله في كل نعمة حقاً فمن اداه زاده منها ، ومن قصر عنه خاطر بزوال النعم)^(٧) اذ يمثل هذا القول مصداق ما اشرنا اليه فهو يشير الى امر غاية في الاهمية وله دور في تحقيق التكافل الاجتماعي وذلك من خلال اخراج ما فرض الله من الحقوق في اموال الاغنياء ليسد بها حاجة الفقراء وفي نفس المعنى قول الامام الصادق عليه السلام لحسن الصحاف (ما ظاهر الله تعالى على عبد النعم حتى ظاهر

(١) الكافي : ٣٠٥/٣ ، ح ٢٤ ، نقلاً عن التستري : ٤١٠/٨

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٤١٠/١١

(٣) العمدة : ١٤١/١

(٤) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٤١١/١١

(٥) الكافي : ٢٠٢/٣ ، نقلاً عن التستري : ٤١٠/١١

(٦) الامتاع والمؤانسة : ٢٤٩

(٧) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٢١٠/١٢

عليه مؤونة للناس فمن صبر لهم وقام بشأنهم زاد تعالى في نعمه عليه عندهم ومن لم يصبر لهم ولم يقم بشأنهم ازال الله تعالى تلك النعمة (١).

كذلك تحقق التناص الاسلوبي بين قولي الامامين عليهما السلام ، وهو قول يكشف عن ادبية عالية في الافصاح عن الحق وفيه تأكيد على استلهاام الاخلاق الاسلامية وقد استطاعت هذه الجمل ان توجه الى قيم اخلاقية ويندرج هذان النصان في اطار ادب المعاملات ف (لن يكون الادب شيئاً اذا لم يتح لنا ان نفهم الحياة بصورة افضل) (٢) اذ عرف الامام عليه السلام بالتفقاته الجميلة وتعبيراته البليغة (وعلى ذلك اشراأت اليه الاعناق وشخصت له الابصار فاضى المرجع الاوحد والسند المسند برجاحة العقل وصواب الراي وعمق النظر) (٣) ويمكن بكل وضوح ان نلمس مصداق هذا القول فيما اثر الامام عليه السلام من اقوال وخطب لعل منها قوله عليه السلام (واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل) (٤) فالامام بهذا القول يدعوا الى التمسك بحبل القرآن الذي يدعو الى الهدى وهو المعنى الذي اشار اليه الصادق عليه السلام (ان هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره ، فان التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير من الظلمات بالنور) (٥) وهذا القول يتناص مع قول الامام عليه السلام عن طريق ما يسمى التناص المضموني هذا ويطول بنا المقام لو اردنا تتبع جميع ما جاء من تناص روائي لقد درسنا فيما مضى من مباحث التناص وبيننا ان التناص فيها كان على نوعين تناص نهج البلاغة مع القرآن والحديث النبوي الشريف ، وتبين لنا ان هاتين المرجعتين كانتا فاعلتين في تناصات نهج البلاغة ، اما النوع الثاني من انواع التناص الادبي واضح المعالم وتناولنا فيه التناص النثري والتناص الشعري وقسم سميناه التناص الروائي.

(١) الكافي : ٣٧/٤ ، ح ٣ ، نقلاً عن التستري : ٢١٠/١٢

(٢) نقد النقد : تيزكيفان تود روف ، ترجمة : سامي سولدان ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ص ١٤٩ - ١٥٠

(٣) ملامح من عبقرية الامام : ١٦٣

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ١٦٦/١٠

(٥) الكافي : ٢٨/١ ، ح ٢٤ ، نقلاً عن منهاج البراعة : ١٦٦/١٠